الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط
(الإسلامي) موسومة بـ:

الرق في ظل الحكم المرابطي
الدور السياسي والعسكري
448ه-540ه/1056م-1145م

إعداد الطالبتان:

-أمينة درقاوي
-فاطمة الزهراء سلام

إشراف الأستاذ

-مصطفى سعداوي

السنة الجامعية: 1435-1436هـ/2014-2015م

إهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

إلى رمز فخري وعزتي إخوتي وأخواتي

إلى خطيبي فاتح وكل أفراد عائلته

إلى كل الصديقات خاصة منية وللوشة

إلى زميلتي في البحث فاطمة الزهراء

إلى كل من ساعدني ومد يد العون لي في إنجاز هذا العمل

أهدي ثمرة جهدي

أمينة

إهداء

إلى من غمرتني بحنانها و عطفها و كانت دعواتها سراجا منيرا أضاء دربي.....أمي الحبيبة

إلى الّذي حفزني طول حياتي الدراسية و تعب في تربيتي و تعليمي .....أبي الغالي

إلى اخوتي حمزة و عبد الغني و اخواتي هاجرو ابنها محمد و اختي بسمة، و جميع أفراد العائلة أخص بالذكر خالي حميد

إلى رفيق دربي الذي يقاسمني الحياة بحلوها و مرّها زوجي العزيز "عمار"

إلى كل من علمني حرفا و أفادني من قريب أو بعيد

سلام فاطمة الزهراء

قائمة المختصرات:

د ط : بدون طبعة

د ت : بدون تاريخ

ج : جزء

مج : مجلد

د : الدكتور

د.د.ن: بدون دار نشر

د.م.ن : بدون مكان نشر.

ط : طبعة

مقـــــدمـــــة

احتلت فئة الرقيق في المجتمع المرابطي أدنى المراتب على السلم الاجتماعي، وذلك على شاكلة عموم المجتمعات الإسترقاقية، غير أن هذا لم يحل –هنا- دون اضطلاع هذه الفئة بأدوار خطيرة في شتى مناحي الحياة. وهو ما تعكسه مختلف المصادر التاريخيةعلى غرار كتب المناقب والنوازل والحسبة والتراجم والطبقات المتعلقة بهذا المجتمع.

وهذه المفارقة تلقي الضوء على أهم دواعي اختيارنا لهذه الظاهرة التاريخية **(الرق في ظل الحكم المرابطي)** موضوعا للتقصي والدراسة. وقد تنوعت هذه الدواعي بين الذاتية والموضوعية؛ فتمثل النوع الأول في الفضول وحب الإطلاع الذي ترجع جذوره الى فترة الدراسة في ماستر 1، عندما استلهمنا معالجة "ظاهرة الرق"" وانتقيناها موضوعا لأحد العروض، غير أن صعاب شتى تضافرت فحالت دون انجازنا له الأمر الذي زاد رغبتنا الأولى اشتعالا وأورثتنا تحد واصرارا، أما الدواعي الموضوعية فتتلخص في تلك المكانة غير العادية التي احتلتها فئة الرقيق في مجتمع المرابطين والدور المميز الذي لعبته في نطاق دولتهم، إذ أثروا في أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ناهيك عن السياسية والعسكرية، ولا نبالغ أذا اعتبرناهم طرفا أساسيا في جميع قضايا تاريخ المغرب إبان هذه الفترة.

هذه الحقيقة الأخيرة وضعتنا إزاء اشكالية مستفزة مفادها: كيف يكون لفئة يفترض من المنظور الإجتماعي أنها الأقل اعتبارا، والأكثر تهميشا، أن تضطلع بتلك الأدوار المركزية، لاسيما في المجالين العسكري والسياسي؟

وقد استدعت الإجابة على هذا السؤال الكبير تفكيكه إلى عدة تساؤلات فرعية، هذه أهمها:

-ما هي حيثيات وخلفيات تواجد فئة الرقيق في دولة كدولة المرابطين قامت على مبادئ الإسلام السمحة التي تدعو إلى العدالة والحرية والمساواة بين الناس جميعهم: عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، مسلمهم وغير مسلمهم؟

-وبما أن هذه الدولة كما يدل على ذلك اسمها قامت على أساس الجهاد والرباط، فالميدان العسكري كان يمثل بالنسبة لها مجالا حيويا، وهو ما يستدعي التساؤل حول الدور الذي لعبته الفئة المشار إليها أعلاه في الميدان المذكور؟

-وبحكم الترابط الوثيق بين الميدانيين: العسكري والسياسي، فإن تساؤلا آخر يفرض نفسه تلقائيا، وهذه المرة حول دور الفئة المعنية في الميدان السياسي؟

وقصد الحصول على المادة العلمية الكفيلة بإلقاء الضوء على مناطق الظل التي تتمحور حولها التساؤلات السابقة، اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع، فيما يلي أبرزها:

1/كتب الفتاوى والحسبة

أ/كتب الفتاوى:

من كتب الفتاوى التي رجعنا إليها هي فتاوى ابن رشد لأبي الوليد أحمد بن أحمد بن رشد المالكي القرطبي (ت 520هـ/1126م)، ويعد هذا الكتاب من الكتب النفيسة التي لا يستغنى عنه لكون فتاويه تمثل اتساعا زمنا ومكانا، فمن الناحية الزمانية تناولت جانبا من عصر ملوك الطوائف ثم عصر المرابطين حتى سنة 520هـ/1126م، ومن حيث المكان فإنها تشير إلى مسائل شتى من مناحي الحياة وترجع قيمة هذه الفتاوي بالنسبة للبحث لكونها معاصرة للفترة الخاصة بالبحث من جهة ومن جهة أخرى أن أسئلتها تصور لنا الواقع اليومي للمجتمع، فأفادتنا كثيرا في تبيين مكانة الرقيق ووضعهم إضافةأ عمالهم ومهامه.

وإلى جانب فتاوى ابن رشد استفدنا من أحمد بن يحي الونشريسي المتوفى سنة 914هـ/1508م وذلك رغم تأخرها عن فترة البحث، وتكمن أهمية العودة إليه نظرا لاعتماده في فتاويه على بعض المفتين الذين عاصروا الحقبة المرابطية كابن الحاج وابن رشد، إضافة إلى اعتمادنا على مؤلفات القاضي عياض وولده محمد أهمها كتاب' مذاهب الحكام في نوازل الأحكام"، أفادنا كثيرا في الفصل الأول من البحث.

ب/كتب الحسبة:

ومن كتب الحسبة أفادنا في مجال المتاجرة بالعبيد السقطي(محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي، عاش في القرن السادس للهجرة/12م): قد خصص الباب السابع من مؤلفه" آداب الحسبة" للمخالفات الشرعية التي كان يرتكبها النخاسون وكشف مواطن الغش وقدم بعض النصائح إلى المبتاعين حتى لا يقعوا في شرك الباعة.

2/كتب الجغرافية:

ومن أهم المصادر الجغرافية التي اعتمدنا عليها هي:

-ابن حوقل النصيبي(أبو القاسم محمد بن علي القرن4هـ/10م): كتاب"صورة الأرض" فيه معلومات عن مسالك التجارة بين بلاد المغرب وبين بلاد السودان وعن معاملات في الأسواق وعن بعض القبائل التي كانت تتاجر بالعبيد.

-أبو عبيد البكري(المتوفى سنة 487هـ/1094-1095م) في كتاب "المغرب في ذكر إفريقية والمغرب" وهو جزء من كتاب "المسالك و الممالك" وفيه معلومات هامة عن المدن التي كانت محطة تجارية كأدغشت وعن العبيد الذين كانوا يباعون هناك وأصناف الجواري والمسالك التجارية وسجل بعض الأخبار التاريخية عن الغزو والسبي.

-الإدريسي(أبو عبد الله الشريف ت.548هـ/1154م): "وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس "، يعتبر من أهم المصادر الجغرافية اعتمادا في البحث وهذا لأن الإدريسي كان معاصرا لفترة الدراسة، ويتضمن معلومات هامة عن طرق الإسترقاق داخل بلاد السودان وعن جلب الرقيق عبر الصحراء.

3/كتب الطبقات و التراجم: ومنها:

-كتاب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب" للمقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ/1632م)، واستفدنا من بعض أجزائه وقد أفادنا في المجالين السياسي والعسكري على الرغم من أنه يتحدث كثيرا عن الفقهاء والعلماء رجال ونساء و يحوي الكثير عن الحياة الاجتماعية بالمغرب والأندلس.

-كذلك كتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة " لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م)، وهو كتاب في أربع مجلدات تحوي على تراجم لشخصيات أندلسية لها صلة بتاريخ غرناطة، استعملنا جزءه الأول في الفصلين الأخيرين من البحث.

4/الموسوعات وكتب المعارف التاريخية العامة:

أفادتنا الموسوعات ومجموعة من **كتب التاريخ العام** منها:

- كتاب " العبر" لعبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ/1406م)، وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة شملت التاريخ لعدة دول منها الدولة المرابطية وقد استفدنا من جزئه السادس فاعتمدت عليه في عدة مواضع من فصول البحث.

-ابن عذارى المراكشي الذي كان حيا سنة(712هـ/1312م): في كتابه "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، خاصة الجزء الرابع المتعلق بتاريخ المرابطين الذي اكتشفه ليفي بروفنسال بجامع القرويين بفاس، وقد انتفعنا بالقطعة الخاصة بالمرابطين التي نشرها إحسان عباس، طبعة بيروت، 1967م، وقد أفادنا في جميع فصول البحث.

-كما استفدنا من كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لإبن أبي زرع الفاسي(ت.726هـ/1328م)، الذي يتضمن تاريخ الدول الخمس التي تعاقبت على حكم المغرب في العصر الإسلامي الوسيط، منه الدولة المرابطية التي حكمت المغرب الأقصى وقد أفادني هو الآخر في معظم فصول البحث واستفدت منه كذلك في دور الرقيق في المعارك.

- رجعنا إلى كتاب الكامل في التاريخ لإبن الأثير المتوفى سنة(630هـ/1232م) وهو مصدر أساسي لمرحلة التاريخ الإسلامي الوسيط بحيث لا يمكن لأي باحث في التاريخ الاستغناء عنه، حيث ترجع أهمية هذا الكتاب الى أن مؤلفه عاصر فترة الدراسة واستفدنا منه خاصة في حديثنا عن دور الرقيق في أواخر الدولة المرابطية خاصة جند النصارى.

5/المراجع:

-أفادنا في بحثنا هذا من عدة مراجع خاصة في التوسع فيما أشارت إليه المصادر منها نذكر الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي جمال طه، وكتاب مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين لإبراهيم القادري بوتشيش، كتاب مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين لجمال أحمد طه، وكتاب التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين لحمدي عبد المنعم حسين.

كما أفدنا من الدراسة الجادة التي قام بها عبد الإله بن مليح تحت عنوان الرق في بلاد المغرب الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة (11-12م)، بحث فيها الاسترقاق في المغرب الأقصى والأندلس وروافد الرقيق وحضورهم الثقافي والسياسي فألم بجوانب كثيرة استفدنا منها في دراستنا، إلا أنه لم يتقيد بفترة الدراسة.

ولاستخلاص المادة العلمية من المصادر والمراجعالمشار إليها أعلاه ومعالجتها، اعتمدنا على المنهج التاريخي الملائم لطبيعة بحثنا، والمنهج التحليلي للتعقيب ومناقشة بعض القضايا الواردة في الدراسة، إضافة إلى المنهج الإستقرائى لقراءة النصوص وتتبعها في المصادر، كما قمنا بمقارنة مختلف المعلومات واستخلصنا من بعضها استنتاجات واعتمدنا على بعضها الأخر في تقديم بعض الشروح والتفسيرات التي رأينا أنها مناسبة كلما دعت الضرورة لذلك.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة ترتيبها في فصل تمهيدي وثلاث فصول.

وفي**الفصل التمهيدي تطرقنا** إلى تركيبة المجتمع المرابطي التي شكل الرقيق إحدى شرائحه الهامة وان احتلت أدنى المراتب على السلم الإجتماعي.

أما **الفصل الأول** فخصصناه للحديث عن الرق في المجتمع المرابطي فقسمناه إلى ثلاث مباحث أولها جاء تحت عنوان مصادر الرقيقالتي يعود مردها إلى الحروب التي خاضت غمارها الدولة المرابطية سواء في الجهة الجنوبية (بلاد السودان)، أم أثناء حروبها ضد قوى النصارى في الأندلس، حيث أسفرت هذه الحروب عن أسر العديد من الناس الذين استرقوا فيما بعد، وإلى جانب الحرب مثلت التجارة أهم مصدر للرقيق حيث أن سيطرت المرابطين على الطرق التجارية المؤدية للجنوب أدى إلى زيادة كثافة الاتصال التجاري السوداني المغربي، وسيولة تدفق السلع بين المجالين كان من أشهرها تجارة الرقيق، حيث أقبل التجار المغاربة على جلب الرقيق من مختلف المدن الجنوبية، وبالمثل تنوعت السلع المتبادلة بين المغرب وأوروبا حيث عرفت تدفقا بشريا بينهما سواء عبر الحروب أو التجارة، لنتحدث في المبحث الثاني عن أنواع الرقيق في المجتمع المرابطي الذي قسمناه على حسب لون بشرته إلى الرقيق الأسود(رقيق السودان)، والرقيق الأبيض (رقيق النصارى أو الصقلبي)، وهما النوعان اللذان ذكرتهما المصادر التاريخية المتوفرة لدينا، لنختم الفصل بمبحث ثالث تحدثنا فيه عن الوضعية الإجتماعية للرقيق الذكور منهم والإناث سواء كن جواري الخدمة اللاتي يقمن بالخدمات المنزلية، أو جواري الأداء اللاتي كن يقمن في قصور الأمراء والحكام.

أما عن **الفصل الثاني** فخصصناه للحديث عن الدور العسكري للإسترقاق وهو ناجم عن الطابع العسكري للدولة وحاجة الأمراء إلى فرض هيبتهم وكياناتهم السياسية أمام العامة والخاصة ، وكذلك توظيفهم كطاقة حربية تستجيب للدولة أثناء الغزو والجهادوكذا استعمالهم كحراس وأدلاء قوافل، خاصة لما عرف عن هؤلاء من الشجاعة والقوة والصبر على الشدائد أثناء المعارك، إضافة إلى إخلاصهم لملاكهمبالنسبة للرقيق الأسود، وأسلوب الثبات والقدرة على استعمال الأسلحة المتنوعة بالنسبة للصقالبة، إضافة إلى أسباب أخرى تمثلت في حاجة الدولة إلى ملء الفراغ في جيشها بعد فقدها لأبناءهابسب الحروب خاصة بعد توسعاتها في بلاد الأندلس، أماعن المبحث الثاني فكان للحديث عن طبيعة حضور الرقيق في الفرق العسكرية بالجيش المرابطي فجاء في فرقة "الحشم"، حيث وقع اختلاف بين المؤرخين حول ما اذا كانت هذه الفرقة تضم الرقيق فقط، أم أنها ضمت باقي عناصر الجيش، غير أنه من الراجح أنها كانت تضم القبائل المغربية المنهزمة ثم أضيف إليها الرقيق فيما بعد وبين كذلك كيف تطور هذا المصطلح من فرقة عسكرية لا علاقة لها بالحروب إلى الدالة عليهم، وفرقة الحرس الخاص التي ضمت الرقيق السوداني والرقيق الصقلبي حيث اتخذهم الأمراء حرسا خاصا لهم، بينما تناولنا في المبحث الثالث مشاركة الرقيق في الحروب سواء في بلاد المغرب والأندلس، فأشرنا إلى دور الرقيق السوداني في المعارك فتطرقنا إلى بعض المعارك التي تواجد الرقيق الأسود في ساحة ميدانها مثل معركة الزلاقة، وقد شكلت منهم فرقة مهمتها التدخل لحسم المعارك، وكذلك دور رقيق النصارى الذي برزت مشاركته خاصة في حروب الدولة ضد الموحدين حتى أن قائدها المعروف باسم الروبرتير مات يدافع عن الدولة المرابطية.

أما **الفصل الثالث**والأخير فأفردناه للحديث عن الدور السياسي للرقيق الذي ينقشم إلى ثلاث مباحث كان المبحث الأول بعنوان الرقيق داخل السلطة، فبينت فيه كيف السلطة باستمالة الرقيق لمساندتها حيث كان الأمراء يعطفون عليهم، ويغدقون على من أظهر منهم شجاعته وإخلاصه في الدفاع بالأعطية والهبات، كذلك استخدامهم في البلاط والأجهزة الأمنية للدولة ، لننتهي في الأخير للحديث عن دور الإماء وتدخلهم في شؤون الحكم، وعلى وجه الخصوص الجواري الروميات اللاتي أصبحن أمهات أولاد بل أمهات أولياء العهد فأشرنا لدور الجارية "قمر" زوجة الأمير علي بن يوسف وأم ولده سير ، لكننا تحدثنا قبل كل هذا عن مكانة المرأة

عند المرابطين وتدخلاتها السياسية وجسدنا ذلك بالحديث عن زينب النفزاوية زوجة الأمير يوسف بن تاشفين.

لنختم موضوعنا بمجموعة نتائج واستنتاجات توصلنا إليها من خلال بحثنا.

في أثناء قيامنا بهذا العمل واجهتنا **صعوبات** قد تواجه أي باحث مقبل على مثل هذه الدراسات، منها ندرة المعلومات الخاصة بالرقيق خاصة وأنهم يمثلون الشريحة الدنيا في المجتمع، وهو ما جعل المصادر تهمل الحديث عنهم وتولي عنايتها بأصحاب القرار في السلطة وبالنشاطات العسكرية، كذلك شح المعلومات إذا ما وجدت في المصادر حيث لا يتعدى ما في شأنهم من معلومات إشارات عابرة لا تفي حاجة البحث، وتجبر الباحث على قراءات مطولة في مؤلفات عديدة ومختلفة الاتجاهاتكي يستطيع أن يجمع نتفا من الأخبار يتم استخدامها في بناء موضوع متكامل.

عدم تمكننا من الحصول على بعض الدراسات الهامة التي تخدم الموضوع خاصة في الفصل الثالث إذ لم نجد ما يكفي من المعلومات لتغطيته.

كذلك عقبة الحصول على مراجع بلغات أجنبية، ورغم ذلك فهذا لم يشكل الصعوبة الأكبر بالنسبة لنا. بلالعائق يتمثل في عملية استقراء وتحليل المصادر فهي غاية في الصعوبة، إضافة إلى توظيفمحتويات الكتب في فصول البحث من خلال قراءتها والمقارنة فيما بينها، ومع الاختلافات الكثيرة في أسماء الأعلام في العديد من الكتب.

ثم كوننا لأول مرة نكتب في مجال البحث التاريخي في مستوى هذا الحجم من الدراسة، وقصر الوقت الذي كان له نصيبه من التأثير في سير الدراسة، فتطلب ذلك الجهد الكبير منا.

وختاما لا يسعنا إلا أن نتوجه بشكرنا الجزيل لكل من قدم لنا العون والمساعدة في إنجازنا لهذا العمل نخص بالذكر الأستاذ المشرف: "**مصطفى سعداوي**" الذي خصص لنا الكثير من وقته ولم يبخل علينا بالنصح والتوجيه، كما لا يفوتنا بالمناسبة أن نتقدم بخالص الشكر و الامتنان إلى الأستاذ " **نسيم حسبلاوي**" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته الكثيرة ومنحنا هو الآخررغم مشاغله من وقته الثمين. فما جاء في هذا البحث من فضل فإليهما يرجع وما فيه من تقصير فإلينا يعود.

الفصـــــل التمهيـــــدي

طبقات المجتمع المرابطي

المبحث الأول: عناصر المجتمع المرابطي

المبحث الثاني: فئات المجتمع المرابطي

المبحث الأول عناصر المجتمع المرابطي:

إن أي دراسة اجتماعية يجب أن تبدأ بمعرفة الأجناس المكونة للمجتمع، وبتتبعنا للنصوص التاريخية يتضح أن أهم العناصر البشرية التي شكلت خريطة سكان المجتمع المرابطي تجلت في العنصر البربري وهم السكان الأصليين الذين يمثلون السواد الأعظم بالمغرب الأقصى ويليها العنصر العربي وبدرجة أقل الأقليات الأخرى من الصقالبة والروم والعنصر السوداني والغز وأهل الذمة من اليهود والنصارى.

1 – البربر:

سمى العرب سكان بلاد المغرب باسم " البربر"[1]، واقتبسوا هذه التسمية من عند الرومان حيث أطلقه الرومان على الشعوب الخارجة عن نطاق حضارتهم[2]، ومثل البربر السواد الأعظم من سكان المغرب الأقصى وباديه، وهم ينحدرون من أصل واحد لكنهم ينقسمون إلى عدة قبائل قامت على أكتافها أهم الدول التي حكمت المنطقة ومنها دولة المرابطين[3].

1_ المغرب العربي تعبير جغرافي يطلق على المنطقة الواقعة غرب مصر، من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن شواطئ البحر المتوسط شمالا إلى أواسط الصحراء الكبرى جنوبا، ويشمل تونس، الجزائر مراكش، وموريتانيا، سعدون عباس نصراتة:**دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985م ، ص: 11 .

2_نفسه: ص: 11، ينظر؛ عصام الدين عبد الرءوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، مصر، (د.ط)، 1984 م، ص: 17 .

3– عيسى بن الذيب:**المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دراسة اجتماعية واقتصادية**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، الجزائر، 2008م/2009م، ص: 11.

وقد اختلف النسابة والمؤرخون في نسبهم وجذورهم[1]، لا يسعنا التفصيل والتعمق في هذا الاختلاف لأن الحديث فيه يطول فنخرج بذلك عن موضوع دراستنا .

لكننا نكتفي بما ذكره ابن خلدون الذي أكد أنهم حاميون من مزيغ بن حام قائلا " والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن نوح .... وأن اسم أبيهم مازيغ "[2]لكن وقع إجماع بين المؤرخين والنسابة على تقسيم البربر إلى جذمين كبيرين يختلفان في نوع الحياة الاجتماعية والاقتصادية، الجذم الأول وتسمى قبائله البرانس والجذم الثاني وتسمى قبائله البتر[3]، استقر معظم البرانس في العصر المرابطي في المناطق الساحلية أو الجبلية الممتدة من على طول البحر، وعاشوا حياة الإستقرار والزراعة، كما أنهم ارتبطوا بالأرض ارتباطا شديدا[4]، حتى أن ابن خلدون وصفهم أنهم أوفر قبائل البربر عددا[5]،أما أغلب

1_مبارك الميلي:**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح، محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص-ص: 81-89

2- عبد الرحمان ابن خلدون:**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم منذويالسلطان الأكبر**، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (د.ط)، 2000م ،ج6، ص: 127؛ انظر: إبن حزم الأندلسي:**جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت)، ص: 495.

3_،ابن خلدون نفسه ص: 116؛ ينظر: الميلي: المرجع السابق، ص: 98؛ موسى لقبال:**المغرب الإسلامي** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1951م، ص: 17 .

4–عبد الوهاب بن منصور:**قبائل المغرب**،الطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ج1، ص: 179؛ ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش:**مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ط)، 1997م، ص: 11.

5– ابن خلدون: نفسه، ص: 179؛ ينظر :بوتشيش: نفسه، ص-ص: 11، 12.

البتر فهم بدو رحل نزلوا بسلسلة الأودية الرعوية وانتشروا في أقاليم النخيل حسب فصول السنة بينما أقام بعضهم في الأماكن الصحراوية، وهؤلاء يمتازون بروحهم القتالية العالية وامتداد قبائلهم عبر مناطق كبيرة بالمغرب الأقصى والأندلس[1]، ويمكننا التمييز بين القبائل البربرية في عصر المرابطين على أساس أنماط المعيشة ممثلة في نوعيها : الترحال والاستقرار[2]، حيث تفرعت من بربر البتر الذين عرفوا بالبداوة والترحال (القبائل الغير مستقرة) قبيلة صنهاجة أقوى قبائل البربر وأمنعها[3]، حيث اعتبرهم بعض المؤرخين شعبا تنضوي تحت لوائه قبائل بلغت السبعين قبيلة من أهمها وأشهرها : لمتونه،جداله، لمطه ومسوفة ....وغيرها[4]. تميزت حياتهم بالرعي والترحال وهذا ما جعل الحميري يصفهم بأنهم " رحالة لا يستقر بهم مكان"[5].

1_ حسين يوسف دويدار :**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط2، 1199 م، ص: 25 ؛ ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 142؛ بنمنصور: المرجع السابق، ص-ص: 304 ، 305 .

2 _ نور الدين دواجي ونذير أوشريف:**الحياة الاجتماعية في المغرب في عهد المرابطين (434-541 هـ/1059-1147م)**، مذكرة لنيل شهادة التعليم الأساسي، قسم التاريخ والجغرافيا، بوزريعة، 2007، ص: 8 .

3_ ابن خلدون: نفسه، ص: 152 ؛ ينظر، سعدون نصراتة: المرجع السابق، ص: 12 .

4_ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :**الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د. ط)،1954، ص: 98؛ ينظر: نبيلة حسن محمد، **تاريخ المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص 88؛ أنظر:ابن أبي زرع:**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، صور للطباعة والوراقة، الرباط، (د.ط)، 1972م، ص: 12.

5– محمد بن عبد المنعم الحميري:**الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي مع فهارس شاملة**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، 1975م، ص: 305 .

وقد اختلفت روايات النسابة والمؤرخون حول أصل صنهاجة، إلا أن أغلبهم اتفقوا على الأصل الحميري لها، فنسبوها إلى صنهاج من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير [1]، وعلى أكتاف صنهاجة قامت دولة المرابطين في القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي، التي وضع أسسها ومبادئها الفقيه عبد الله بن ياسين[2]، أما مؤسسها الحقيقي فهو يوسف بن تاشفين[3]الذي استطاع أن يخضع بلاد المغرب والأندلس معا تحت سلطانه، وتوارث الحكم من بعده أبنائه وأحفاده[4].

أما فيما يخص العناصر البربرية المستقرة، فإنها تتمثل في القبائل المصمودية حيث ينتسب المصامدة حسب ابن خلدون إلى مصمود بن يونس بن بر ويعدون من أبرز العناصر البرنسية، كما أنهم يمتازون

---

1 – ابن عذارى المراكشي:**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، مراجعة وتحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط 2، 1980م،ج4 ، ص: 46 .

2_ عبد الله بن ياسين هو القائم بدعوة المرابطين من قبيلة جزولة عرف بالعلم والخير، استقامت للمرابطين في عهده بلاد الصحراء كلها وما وراءها من بلاد المصامدة والقبلة والسوس استشهد سنة (450هـ-1056م) في حملته الجهادية على قبائل برغواطة؛ ينظر: القاضي عياض:**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، ج4، ص-ص: 781-782 .

3_يوسف بن تاشفين هو المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين بالمغرب الأقصى، من أصل حميري اسم أبيه تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطن، واسم أمه فاطمة اللمتونية، بنى مدينة مراكش عام 445هـ/1062م ومنها بسط سلطانه على بلاد المغرب الأقصى استنجد به ملوك الطوائف لينقض أرضهم من الخطر المسيحي الذي يتهددهم ، انتصر على الأذفونش حاكم النصارى في معركة الزلاقة سنة 480هـ/1086م وضم الأندلس تحت سلطانه ، حسن علي حسن:**الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص-ص: 27-28.

4–نصراتة: المرجع السابق،ص: 27

بكثرة عددهم في المنطقة، وقد صنفهم ثلاث مجموعات أساسية هي: المجموعة الأولى تتمثل في أهل جبل درن ويمثلون تجمعا بشريا كبيرا (أكبر نسبة لهذه المجموعة)، أما الصنف الثاني فتمثل في غمارة الريف، وتليه المجموعة الثالثة المتمثلة في برغواطة تامسنا[1]، وقد وجد المرابطون صعوبة في إخضاع مصامدة جبل درن، باعتبارهم يشكلون الغالبية الكبيرة لسكان المغرب الأقصى، ولم يستطيعوا أن يغيروا شيئا من مكان استقرارهم، واكتفوا بإحكام المراقبة عليهم، وبالمقابل عاش هؤلاء هادئين في المرحلة الأولى من الحكم المرابطي، لكن في المرحلة الثانية بدؤوا في إظهار سخطهم[2].

وعلى عكس الصنهاجيين كان المصامدة مستقرين في حياتهم، فأنشئوا مختلف المباني والمساكن المبنيةبالأحجار والطوب، واعتمدوا على الزراعة كمصدر أساسي للعيش[3]، كما كان لهم بطون كثيرة نذكر منها : هرغة، هنتانة، تينملل، قنفيست، قدميرة، دكالة، هسكورة[4]

2– العرب :

استقر العرب في المغرب الأقصى منذ تطلع العرب المسلمين على المغرب في فجر الخلافة تمثل هذا الوجود بعد الفتوحات الإسلامية، واستمر توافد القبائل العربية إلى أرض المغرب حتى أواخر الخلافة الأموية[5].

---

1 – ابن خلدون:المصدر السابق، ص: 275؛ ينظر: عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، (د.ت)، ص-ص: 424-425.

2_بوتشيش: المرجع السابق، ص: 221 ؛ ينظر: دواجي وأوشريف: المرجع السابق، ص: 15 .

3– جمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر المرابطين والموحدين)**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2004، ص: 50؛ ينظر: الميلي: المرجع السابق، ص: 228 .

4- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص:301؛ ينظر: عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص:31.

5- جمال طه: نفسه، ص: 59.

وزاد توافد العرب على المغرب الأقصى خاصة في عهد الأدارسة، حيث أشار ابن أبي زرع إلى الوفود العديدة التي استقرت في فاس من الأندلس والقيروان خاصة بعد حادثة الربض[1]، وبقيام دولة المرابطين ازداد شيوع الأمن والاستقرار منذ عهد يوسف بن تاشفين، مما جعل من المغرب الأقصى مركزا لاستقطاب المجموعات العربية خاصة عرب الأندلس الذين عملوا في ميادين عديدة كالإدارة والقضاء وكذا الصناعة[2]، إضافة إلى عرب بنو هلال الذين انتشروا في البوادي والأرياف وعملوا كمتطوعة في الجيش المرابطي، خاصة إذا علمنا أن دولة المرابطين دولة حرب تشجع على قدوم مثل هذه العناصر واستعمالها في مشاريعها الحربية[3].

3– أهل الذمة :

3_1_اليهود :

قطن اليهود أرض المغرب منذ وقت مبكر وعاشوا في حواضره الشمالية والجنوبية وفضلوا الإقامة في المدن الكبرى حيث الأعمال التجارية والحرفية التي اشتهروا بها، وشكلوا طبقة كبيرة من طبقات المجتمع في الحقبة المرابطية[4]، وقد أشار البكري[5]إلى وجود تجمعات كثيرة منهم

1– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص: 37، انظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 29؛ حادثة الربض ثورة حدثت في 13 رمضان 202هـ /25مارس 818م قام بها أهل قرطبة خاصة سكان ربض شقندة ضد حكم الأمير الحكم بن هشام خاصة بعد فرضه عليهم الضرائب الباهظة مما اسخط العامة وكادت أن تنهي حكمه ومن نتائجها إجلاء قطاع كبير من سكان الربض من قرطبة،(ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة ،1989،ص-ص: 68-69).

2– ابراهيم القادري بوتشيش، نفس المرجع والصفحة .

3– جمال طه: المرجع نفسه، ص: 60 .

4 -جمال احمد طه: المرجع السابق، ص: 168 .

5– البكري: **المغرب في ذكر افريقية والمغرب**، دار الكتاب ،القاهرة، (د ت)، ص: 115؛ ينظر مجهول : [1]**الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، جامعة الإسكندرية، مصر، (د ت)، ص: 202 .

بمدينة فاس[1]قائلا : " وهي أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها لجميع الأفاق "، وتمتعوا بحياة الهدوء والطمأنينة خاصة في فترة حكم يوسف بن تاشفين، الذي سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، إضافة إلى بعض الحقوق منها حق تأمين التعليم والتثقيف لأبنائهم[2].

تركز استقرار اليهود في المدن وعلى ملتقيات الدروب التجارية المهمة، ونظرا لسياسة التسامح التي انتهجتها الدولة المرابطية اتجاههم فإنهم فضلوا الإقامة في كنفها على الالتجاء إلى البلاد النصرانية[3]، وهو ما يؤكد حسن معاملة المرابطين لأهل الذمة وتسامحهم معهم.

3-2- النصارى :

اختلف المؤرخون في التعبير عن مصطلح النصارى، فنجد أحد المؤرخين قد أطلق عليهم مصطلح "الروم"[4] في التعبير عن كل نصارى الغرب المسيحي، بينما ابن الأثير فأطلق عليهم اسم مماليك الإفرنج[5]، واكتفى ابن خلكان بذكر لفظ" مماليك"[6]، ومصادر أخرى أطلقت على المسيحيين الذين

1-فاس مدينة عظيمة، قاعدة المغرب هي عبارة عن مدينتان مقترنتان وهما القرويين والأندلسيين يشق بينهما نهر كبير يسمى فاس، محمد عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص: 434.

2 – مسعود كواتي: **اليهود في المغرب الإسلامي (من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين)**، دار هومة، الجزائر، (د ط) 2000، ص: 124 .

3– حمدي عبد المنعم محمد حسين: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997م، (د ت)، ص: 336 .

4 – ابن الأثير أبو الحسن علي بن أحمد: **الكامل في التاريخ**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 1979م ، ج4، ص: 296 .

5- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، **قسم الموحدين**، ص: 31، كما أطلق عليهم نفس المصدر لفظ العلوج، ج4 ، ص: 23.

6 - **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، ج5، دار صادر، بيروت – لبنان، (د ط)، (د ت)، ص: 51.

خضعوا لأحكام أهل الذمة "الروم البلديين"[1]، رغم هذا الاختلاف في تحديد المصطلح إلا أن مايهمنا هو كيف توافد هؤلاء النصارى إلى المغرب الأقصى إبان العصر المرابطي وهل سيكون لهم تأثير في المجتمع؟

منذ بداية دولة المرابطين بدأت أعداد كبيرة من المسيحيين بالوفود إلى المغرب، للعمل كجنود مرتزقة بالجيش المرابطي أو على شكل أسرى حروب والعديد من السبايا والجاريات الروميات كن يقدمن إلى

المغرب إما عن طريق الأسر أو عن طريق تجارة الرق[2]،هذا الأخير محط دراستنا الذي نحن بصدد الغوص في تفاصيله وأدواره في فترة من أهم فترات التاريخ وهي فترة دولة المرابطين؛ فتواجدوا في المجتمع المرابطي وشاركوا في جميع مجالات الحياة العامة بمختلف أشكالها، فاشتغلوا بالزراعة بحكم طبيعة عملهم السابق وعملوا كحرس خاص[3]، وفي عهد علي بن يوسف أسندت إليهم مهمة تحصيل الضرائب وحراسة المعاقل وجباية الأموال أحيانا[4]، وفي المجال العسكري عملوا على تقوية الجيش المرابطي وإدخال طرق جديدة في القتال مستوحاة من البيئة الإفرنجية المختلفة عن البيئة الصحراوية[5]، هذا ما يبين أن هؤلاء النصارى الذين كان أغلبهم من الرقيق، كانت لهم بصمتهم الخاصة في الجانب العسكري في الحقبة المرابطية، والذي أردنا أن نسلط عليه الضوء ليكون موضوع دراستنا.

4_الأقليات :

1 – الصقالبة:المقصود بالصقالبة سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التي تمتد من

1- ابن عذارى: المرجع السابق، ج4، ص: 39.

2-ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص: 80؛ الرِّق: بكسر الراء مشددة، لغة: الضعف، وشرعاً: العجز الحكمي أي القانوني لا المادي، من التمتع بكامل حقوق الحر، يصير به الشخص عرضة للتملك والإبتذال ولقد شرع في الأصل، جزاء عن الكفر الأصلي، هو المملوك كلاً أو بعض، (محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993، ص ص255-257.

3-ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص: 31.

4– حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين** ، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص: 411.

5[1]-إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص: 93.

بحر قزوين إلى البحر الأدرياني[1]،(كلمة صقلب كلمة فرنسية قديمة معناهاعبدأو رقيق) وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة، لأن بعض الجرمان والاسكندينافيين أبو على سبي الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب الأندلس ولذلك أطلق عليهم اسم الصقالبة[2]، كما يعرفون بأسماء عديدة مثل الفتيان والخلفاء والخرس أو الخصيان أوالمجابيب[3]، درّب الصقالبة على أعمال القصر والحراسة والجيش وأعمال أخرى كثيرة[4]،استخدموا في الأندلس منذ أيام الحكم الأموي وكان عددهم كبير بها، أما فيما يخص المغرب فإنهم كانوا قلائل وكان أول من جلبهم يوسف بن تاشفين حيث اشترى 240 فارسا روميا، هذا دون أن نعد الجواري الموجودات في المنطقة واللاتي كان بينهن الكثير ممن كانت أم ولد لخليفة أو أمير[5]. لهذا سيكون لهن دور كبير في تغيير نظام الحكم والتحكم في الأمراء المرابطين بما يخدم مصالحهن .

الأغزاز :

1- أحمد مختار العبادي، **الصقالبة في إسبانيا**، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، (د.ط)، 1953م، ص: 8؛ ويرجع الحموي موطنهم بين البلغاروالقسطنطينية، (**معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1979م، مج5، ص: 372

2 – ابن حوقل:**صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، 1979 م، ص: 106؛ كما أنه أورد نسبهم في الصفحة 160 إلى قبيل من ولد يافث .

3- بن الذيب: المرجع السابق، ص: 38؛ ولم يكن المرابطين أول من استعمل الصقالبة فقد استعملهم الأمويون داخل قصورهم وكان الحكم بن هشام الربضي 180هـ/206هـ قد أعلا قدرهم واتخذهم كحرس خاص له وازداد عددهم فيما بعد أكثر .

4 – عبد الفتاح مقلد لغنيمي:**الموسوعة العربية الميسرة**، دار الجبل، بيروت، ط 2، 2001 م، مج2، ص: 1047 .

5 _ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص _ص: 23 _ 26؛ ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص: 68.

2-الأغزاز:

هم جنس من الترك تقع بلادهم في أقصى المشرق على تخوم بلاد الصين وقد عرفوا في المصادر العربية بالعديد من الأسماء منها الترك والأكراد، دخلوا إلى بلاد المغرب في البداية على شكل رقيق غير أن أعدادهم لم تكن كبيرة، كان يحي بن تميم أول من أدخلهم في الجيش المغربي ، وتبعهم في هذه العادة المرابطون الذين شكل الأغزاز جزءا من غيرهم[1]، واختلفت الروايات التاريخية حول تواجد العنصر التركي في المغرب والأندلس في عهد المرابطين، حيث ذكر ابن أبي زرع أن يوسف بن تاشفين جند الأغزاز في جيشه فقال: " جند يوسف الأجناد واستكثر القواد وفتح كثيرا من البلاد واتخذ الطبول والبنود واخرج العمال وكتب العهود وجعل في جيشه الأغزاز والرماة .... فكمل له من الجيوش في تلك السنة أزيد من مائة فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والأغزاز ..." [2]، وهي الرواية الوحيدة التي انفردت بذكر تواجد الغز في المجتمع المرابطي، ونقلها عنه الناصري[3]، ما عدا هذا لا نجد أي إشارة عنهم خلال فترة الدراسة.

وذكر أحد الباحثين نقلا عن وثائق الجنيزة وجود الأغزاز في الأندلس خلال المرحلة الثانية من الحكم المرابطي وحدد منطقة تمركزهم في مدينة غرناطة، ويشير إلى أن هذه العناصر نظرا لمحدوديتها في ظل مجتمع واسع لم يكن لها دور في مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، غير أنه لم ينف أنها شريحة من الشرائح الاجتماعية المشكلة للمجتمع ألمرابطي لكن بنسبة أقل مقارنة مع باقي العناصر الأخرى[4].

1- شرقي نوارة: **الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي، في عهد الموحدين** (524هـ – 667هـ / 1126م- 1268م) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1478هـ – 2007م ، ص-ص: 58-59 .

2– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 89 .

3– الناصري: المصدر السابق، ج 2، ص: 25 .

4- القادري بوتشيش:المرجع السابق، ص: 51 .

3- السودان :

كان العنصر السوداني من العناصر السكانية التي قطنت بلاد المغرب في العهد المرابطي بسبب اعتماد هذه الأخيرة على عائدات تجارة الذهب والعبيد[1]، ومن المعروف أن المرابطين استخدموا العناصر السودانية في جيوشهم وتنظيماتهم العسكرية، حتى أنهم صاروا يكونون فرقة من فرق الجيش مما زاد في أعدادهم بالمدن المغربية[2].

وتشير المصادر إلى مشاركتهم في الحروب، حيث ذكرت أن يوسف بن تاشفين اعتمد في معركة الزلاقة[3] على نحو أربعةآلاف سوداني، وأن أمير المسلمين علي بن يوسف حين عزم العبور إلى الأندلس من أجل الجهاد، فرض على المدن المغربية تجهيز عدداً من أبناء السودان للإشتراك في الحرب كما استعمل السودانيين في الخدمات المنزلية نظراً لتحملهم الأعمال الشاقة التي لا يتحملها غيرهم إضافة إلى أنهم كانوا أوفياء ومخلصين لملاّكهم مقارنة بتصرفات الرقيق الأخرى[4]، وإلى جانب اشتراك السودانيين

1– ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص، 48 .

2– جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص: 162 .

3-الزلاقة نسبة لبطحاء من إقليم بطليوس غرب الأندلس؛ينظر: لسان الدين ابن الخطيب:**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تصحيح البشير الفرني،مطبعة التقدم الإسلامية،ط1،تونس،(د.ت)، ص48-47؛ابن بسام،**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار العربية للكتاب، دار الثقافة، بيروت، (د.ط)، 1997م، مج1، قسم2، ص243؛ الحميري، المصدر السابق، ص-ص: 287-292.

4– جمال أحمد طه: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448هـ/1056م – 668هـ/1269م)**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م، ص:162.

في الجيش فقد كانت نساؤهم ماهرات في طبخ الطعام، لذا كان سكان المغرب الأقصى يقومون بشرائهن للاستفادة من مهارتهن[1].

المبحث الثاني: فئات المجتمع المرابطي

نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها العدوتين المغربية والأندلسية إبان العصر المرابطي مما أدى إلى تنوع في فئات المجتمع،لذلك سنحاول التطرق إليها على حسب أهميتها.

1 –الفئة الحاكمة :

تشمل هذه الطبقة الأمراء ويمثلون السلطة العليا في الدولة إذ انحصرت على يوسف بن تاشفين وأولاده والذي قسم الأعمال ووزعها عل بنيه وقومه[2]،ويمكننا التمييز بين جيلين من هؤلاء الأمراء يختلفان في الحالة الاجتماعية، تميزت الحالة الاجتماعية للجيل الأول بالمحافظة على التراث الصحراوي وتقشفه إلى جانب خشونته وبداوته سواء في المأكل أو الملبس وقد ذكر ابن أبي زرع ذلك فقال : " كان –الجيل الأول – عديم الرفاهية شيب العيش على قاعدة البربر ، كما اشتهر بلباس الصوف و اقتصاره في طعامه على خبز الشعير بالماء ولبن الإبل ولحومها "[3]،لكن هذه الحالة تغيرت في الجيل الثاني الذي مثل مرحلة الحضارة والترف، فأصبح التأنق في الأطعمة عادة مألوفة لدى الأمراء[4]، وأمدنا كتاب الطبيخ في

1-حسن علي حسن: المرجع السابق، ص: 233 .

2– جمال طه: الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى، ص: 160.

3-ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص: 36؛ ابن عذارى المراكشي: : المصدر السابق، ص: 46

4– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص: 132.

المغرب والأندلس بألوان مختلفة من المأكولات المتنوعة[1]، كما تفننوا في الملبس فقلدوا العباسيين في اتخاذ اللون الأسود في ألبستهم التي شملت اللثم والغفائر القرمزية والعمائم ذات الذوابات[2].

وشيد الأمراء القصور التي تفنن المهندسون في زخرفتها، كما عجت رحابها بالجواري وخاصة الروميات اللاتي أصبحن أمهات وحظيات[3]، الأمر الذي انتقده ابن تومرت[4] بشدة ووظفه في دعايته ضد المرابطين.

إلى جانب الأمراء وجد الشعراء التماسا للعطايا خاصة أن بعض الأمراء عرفوا بكرمهم وبسط أيديهم، وقد وصف ابن الخطيب الأمير أبا بكر بن إبراهيم صهر علي بن يوسف أنه كان مثلا في الكرم والجود وأنسى أجواد الإسلام والجاهلية[5]، كما وجد بعض المدرسين في البلاط الذين جلبهم الأمراء لتعليم أبنائهم،

1-مؤلف مجهول : **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس**، نشره أمبروزيو أويثي ميراندا في صحيفة معهد المصري للدراسات، مجلدي 9 و10، (د ط)، 1961م، 1962م، ص-ص: 63 -67.

2-ابن غازي: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، المطبعة الأمنية، الرباط، (د ط)، ص: 6.

3-عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص 100 .

4_هو أبو عبد الله محمد إبن تومرت 1080_1128 قائد مسلم من جنوب المغرب الأقصى ادعى المهدوية يعد المؤسس و الزعيم الروحي لحركة الموحدين وهي حركة إصلاحية وسياسية قامت في مواجهة دولة المرابطين بدأت دعوته بين قبائل مصمودة في جبال الأطلس ثم انتشرت أفكاره بفضل أحد أتباعه وهو عبد المؤمن بن علي الكومي الذي قضى على المرابطين ووطد دعائم الدولة لتشمل أجزاء شاسعة من المغرب الكبير والأندلس، السلاوي: المصدر السابق، ج2،ص: 62 هشام أبو رميلة: **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، دار الفرقان، الأردن، ص: 32.

5 – لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة، 1973م ،ج1 ، ص 404؛ ينظر: المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** حققه إحسان عباس، مج 4، دار صادر، بيروت، 1408هـ-1988م، ص: 72 (حيث ذكر مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبي للأمير إبراهيم وكان يدل عليه و ينادمه أنا شاعر الدنيا وأنت أميرها *** فمالي لا يسري إلي سرورها.) ويفيض ديوان ابن خفاجة بأروع القصائد التي كانت تمدح الأمراء فوصفتهم بعلو الهمة والإشادة بأخلاقهم المتمثلة في الخير والتقوى؛ ينظر: أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي: **ديوان ابن خفاجة**، تحرير مصطفى سلامة النجاري، جمعية المعارف المصرية، ص- ص: 95-126

فقد عرف عن يوسف بن تاشفين أنه كان محبا للفقهاء والعلماء ويقربهم إليه على حد قول ابن عذارى : " فضلا عن مجالسته للعلماء والأدباء"[1]، ووجد قادة الجيش كذلك مكانة ضمن الطبقة الحاكمة خاصة وأن دولة المرابطين دولة حرب ومغازي، حيث اهتم يوسف بن تاشفين بالجيش منذ بداية عهده[2]، وحسب مقولة ابن خلدون فإن" حاجة الأمراء إلى أصحاب السيف تشتد في بداية الدولة وآخرها فيكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاها وأسنإقطاعا"[3]وأقام قادة الجيش في القصور ولم يكونوا يختلطون بالعامة، إذ كانت لهم أحيائهم الخاصة في مراكش وجل المدن الأندلسية[4]، كان لهم قاضي خاص[5]، واحتكرت بعض العائلات أمور الحرب لأبنائها كأسرتي بني عائشة وبني الحاج[6]،كما ضمت الطبقة الحاكمة الوزراء والكتاب[7]، إضافةإلى الفقهاء الذين احتلوا مكانة هامة ضمن هذه الطبقة[8]، ولم يخرج عن هذه الطبقة الولاة خاصة وأن معظمهم من لمتونة وقد اهتموا بمظاهر التحضر والترف[9].

1-ابن عذارى : المصدر السابق، ص: 82، أنظر ابن أبي زرع، الصدر السابق: ص:139.

2- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص: 136 .

3-ابن خلدون: العبر، ج2، ص: 507.

4-ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص: 44.

5- بوتشيش: نفسه، ص: 137 .

6- نفس المرجع والصفحة .

7– ابن خاقان: **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997 م، ص: 269 .

8_ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 137؛ ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق، ص: 234 .

9-– لسان الدين ابن الخطيب:الإحاطة، مج4، ص-ص: 219-220؛ ينظر: ابن رشد، وورد فتوى تبين جشع الولاة وطمعهم وهي مسألة سأل عنها بعض الملثمين الفقيه ابن رشد أنه كان أحد من كان يتولى الرعية يظلمهم ويأخذ أموالهم و بعدها تاب ورجع فأين يصرف ماله هل يتصدق به أم يبقيه لنفسه، **فتاوى ابن رشد**، تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م، السفر الأول، ص-ص: 996-997 .

2 _الطبقة الوسطى:

ضمّت هذه الطبقة شرائح اجتماعية متنوعة، حدّدها ابن الخطيب في صنف من الناس " لا يتشوق إلى المزيد ولا يحذر من النقصان "[1]، أما ابن باجة الذي عاصر الحقبة المرابطية فحددها في مجموعة من الناس الذين يتصنعون ويطمسون حقيقتهم بارتداء الملابس الأنيقة فوق الملابس البالية لإخفائها، و هذا يدل على أنه كانت لهم طموحات في الوصول إلى مكانة في الطبقة الخاصة[2]،أولى شرائح الطبقة المتوسطة التجار سواء تجار القوافل التجارية (تجار الصحراء) أو تجار الجملة، وتعرض هؤلاء التجار إلى ضرائب باهضة أواخر الدولةالمرابطية[3]، ويدخل ضمن هذه الطبقة أيضا الصيارفة الذين اكتسبوا أموالا باهضة بفضل أعمال الصيرفة، وكبار السماسرة الذين لعبوا دور الوسيط بين البائع والمشتري[4].

كما انضمت فئات أصحاب المهن الحرة إلى الطبقة الوسطى كالمهندسين والأطباء الغير مرتبطين بالبلاط يدخل أصحاب الوظائف الحكومية والمشتغلين في أجهزة الدولة ضمن الطبقة المتوسطة كصاحب الأحكام والمدينة والمحتسب[5].

2 – الفئةالعامة :

1-ابن الخطيب:**أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف لبنان ط2، 1956م، ص: 45 .

2- **كتاب تدبير المتوحد**، تحقيق د.معن زيادة، (د.د.ن)، بيروت،(د.ط)، 1987م، ص-ص: 76-77.3-الشريف أبو عبد الله محمد الإدريسي:**صفة المغرب وأرض السودان ومصر من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، نشره د يغويه ودوزي، ليدن، 1894م، ص: 66 .

4_بوتشيش: المرجع السابق، ص-ص: 161-163 .

5– الإدريسي:نفسه، ص- ص: 77-78.

2 – الفئةالعامة :

شملت هذه الطبقة السّواد الأعظم من الرعية ويرجع سبب تسميتهم بالعامة إلى كثرتهم وعدم الإحاطة بهم، لذلك اختلفوا عن الطبقة الخاصة فهم سواد الناس الذين لا يملكون السلطة[1]، وتشكلت طبقة العامة في المغرب الأقصى من جميع القبائل القاطنة به، لكن في الواقع تعرضت هذه الطبقة إلى التهميش في المؤلفات التاريخية الرسمية الخاصة بفترة الدراسة إلا أننا نجد بعض المعلومات التي يمكن الاستفادة منها لإظهار الوضع الاجتماعي لهذه الطبقةفي كتب التراجم والطبقات والنوازل والحسبة، وكتب المناقب[2]،يأتي في مقدمة شرائح العامة شريحة التجار الذين عاشوا حياة كريمة في أغلب الأوقات[3]تليها شريحة الصناع حيث اشتهر صناع المغرب والأندلس في العصر المرابطي بحذق الصناعات اليدوية ، وفي ذلك يذكر لنا المقري " أن أهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية "[4].

ومن طوائف طائفة الصناع نذكر صانعي الثياب والحلاجون الذين يقومون على حلج القط نوصانعوا الأرحاء إضافة إلى صانعي الورق والصابون والجلد وغيرهم[5]، تكشف لنا بعض كتب الطبقات والتراجم عن وجود شريحة العلماء ضمن هذه الطبقة الذين لم يتولوا الخطط والمناصب واكتفوا بالتدريس وظلوا يعانون من مدخول هزيل، ما جعل بعضه يلجأ إلى التجارة في حين فضل

1– جمال طه: الحياة الإجتماعية للمغرب الأقصى، ص: 378؛ينظر: بن الذيب،المرجع السابق، ص: 122.

2–بن الذيب، نفسه، ص: 106.

3– ابراهيم القادري بوتشيش:**الإسلام السري في المغرب العربي**، سينا للنشر، القاهرة، ط1 ، 1955 ، ص: 177 .

4– المقري:المصدر السابق، ج 4، ص: 174.

5-طه جمال،نفسه ، ص: 174

6- بوتشيش: نفس المرجع، ص-ص: 181.

7- نفس المرجع والصفحة.

البعض الأخر الاتجاه نحو المشرق أو السودان فاشتهروا هناك[6]،إضافة إلى شريحة الباعة الذين استقروا في حوانيتهم كبائعي اللحوم، وبائعي الأطباق والقدور وبائعي الحطب[7]، فضلا عن العطارين والصيادلة، منهم من اختص في بيع الأطعمة مثل بائعي الإسفنج والهريسة الذين سماهم الإدريسي بالدخاخين[1]، وكذا الخدم والعبيد[2] .

واعتبر الفلاحون ثاني أهم شريحة من شرائح العامة على إعتبار أن الفلاحة أهم مصدر لكسب العيش[3]، وتنقسم شريحة المزارعين إلى عدة أصناف منهم ملاك الأراضي سواء كانت ملكية جماعية أو مقسمة بين أفراد القرية (ملكية فردية)، منهم الخماسون الذين يقومون بجميع الأعمال الزراعية مقابل مشاركة ربّ الأرض بنسبة الخمس في الإنتاج الزراعي[4]، يضاف إلى هؤلاء الطلبة وأئمة المساجد وكذا المؤذنون والقائمون بشؤونها[5]، وكذلك العبيد أو الرقيق وهم موضوع بحثنا هذا فإنهم يندرجون في أدنى مراتب السلم الاجتماعي،استخدموا وسخروا للعمل في مناجم الملح في بداية الدولة، جلّهم كانوا أسرى في الحروب التي نشبت بين الملثمين والوثنيين ، وارتفع شأنهم فيما بعد فكانوا فرقة خاصة في جيش المرابطين[6]، ورغم الدور الكبير الذي لعبه الرقيق في العصور الوسطى سواء في الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية وحتى العسكرية إلا أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا إلا الشيء القليل من هذا الدور ، لذلك حاولنا في

1-_السقطى: **رسالة في آداب الحسبة**، نشره ليفي بروفنسال وجون كولان،باريس، (د.ط)، 1931م،ص: 41.

2_الإدريسي، المصدر السابق، ص:79.

3_السقطى: نفسه، ص-ص: 47-48.

4_بوتشيش، مباحث، ص: 115.

5_ابن غازي: المصدر السابق، ص-ص: 11-15؛ ينظر:ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 43.

6[1]-بوتشيش: نفسه، ص115.

هذا البحث أن نلم شتات المعلومات المتعلقة بالدور السياسي والعسكري في فترة من فترات التاريخ الإسلامي وهي دولة المربطين.

الفصـــــــل الأول

الرق في المجتمع المرابطي

المبحث الأول: الحـــروب

المبحث الثاني: التجـــارة

المبحث الثالث: أنواع الرقيق

المبحث الرابع: الوضعية الإجتماعية للرقيق

المبحث الأول :مصادر الرقيق

أولا/ الحروب:بما أن دولة المرابطين دولة حروب ومغازي فإنه ما من شك أن الحروب التي خاضتها وفرت لها عددا هائلامن الرقيق[1]، لذلك اعتبرت الحرب رافدا أساسيا من روافد الإسترقاق بالمغرب والأندلس.

تذكر المصادر التاريخية أماكن الإسترقاق لدولة المرابطين، وإنكانت إسبانيا المسيحية أول مصدر للرق في العصر المرابطي، فإننا لا نستبعد وجود أسرى[2] مسلمين منالجهة الجنوبية للدولة رغم صمت المصادر عن العمل العسكري في تلك الجبهات وانشغالها بالتأريخ للمرابطين في الأندلس[3]، وميز لنا المؤرخون بين نوعين من السبي هما : السبي المسلم والسبي الغير مسلم[4].

أما الرقيق المسلم فنعني به السبي الحاصل من المواجهات التي كانت بلاد المغرب والأندلس مسرحا لها في القرن الخامس هجري (الحادي عشر ميلادي)، والتي أسفرت عن إسترقاق العديد من أبناء المغرب وبناته، سواء كان السبي الذي تم عقب صراعات صاحبت قيام دولةوسقوط أخرى، أوعبر مواجهات بين السلطة ومعارضيها[5].

1- بوتشيش: مباحث،ص :23

2-الأشخاص الذين يقبض عليهم أثناء الحرب بحيث كان الأسرى من الحروب أرقاء و هم تحت رحمة الآسر يتصرف بهم كيف يشاء بالقتل، أو البيع أو بأي صورة أخرى. توفيق مزاري عبد الصمد، **التنظيمات العسكرية المغربية في عهد المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 1999-2000، ص: 164.

3- عبد الإله بنمليح:الرق في المغرب والاندلس مؤسسة الانارة العربي، بيروت، د.ط، 2003، ص: 129 .

4-عيسى بن الذيب :المرجع السابق،ص: 154.

5-بنمليح، المرجع نفسه: ص :232 .

وإذا تحدثنا عن دولة المرابطين لوجدنا أنها دولة تدعواإلى الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم، وهي سنية المذهب تعتمد المذهب المالكي[1]،إلا أنها إستعملت الرقيق فاستعبدت الناس واسترقتهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، فكيف تعامل المرابطون مع أسراهم المسلمين وأهل الذمة ؟رغم كل المبادئ التي نادت بها دولة المرابطين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،إلا أن معاملتها للأسرى المسلمين لم تختلف عما كان شائعا في العصور الوسطى، و بلاد المغرب على الخصوص، خاصة في بداية الدعوة[2].

حيث تعرض أسرى المرابطين منذ عهد إبن ياسين واضع أسس الدولة وقواعدها إلى القتل الجماعي، خاصة إذا علمنا أنه كان كلما دخل مدينة من المدن لا يتردد في الإذن لأتباعه بتدمير أماكن اللهو وتكسير آلات الطرب[3]، ويبدوا أن السبب وراء هذا التدمير هو أن المرابطين كانوا بحاجة إلى فرض سيطرتهم السياسية وهيبتهم وقوتهم العسكرية، ولكي يعطي (إبن ياسين) مشروعية كاملة لهذه العمليات الحربية إتخذ من العامل الديني مبررا له، وفي هذاالصدد يذكر أحد المؤرخين أنه : " كان يلي لمتونة جبل فيه قبائل من البربر على غير دين الإسلام، فدعاهم الشيخ عبد الله بن ياسين إلى الذي امتنعوا عليه فأشار على الأمير أبي زكريا ابن عمر بغزوهم، فغزاهم بلمتونة وكانوا حينئذ أزيد من ألف[4]،وإذا تحدثنا عن دولة المرابطين لوجدنا أنها دولة تدعواإلى الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم

1– البكري: المصدر السابق، ص: 164 .

2- توفيق مزاري عبد الصمد: المرجع السابق، ص :164 .

3-شارل أندري جوليان:**تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة1830** تعريب محمد عمر مزالي و البشير إبن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1986م، ص :107 .

4- مؤلف مجهول:**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر اسماعيل،ار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1979، ص :21.

كما ذكرأحد المؤرخين أن يحي بن إبراهيم الجدالي قتل ألف رجل من جدالة، وأسلم باقيهم إسلاما جديدا وذلك سنة 466 هـ[1]،وفي إشارة أخرى على ما يدل أن المرابطين إسترقوا القبائل البربرية التي فتحوا أرضها، ما ذكره إبنأبي زرع عن أبى بكر بن عمر : " عبأ جيوشه قصد إلى قتال برغواطة حتى فروا بين يديه وهو في أثرهم يقتل ويسبي حتى أثخن فيهم "[2].

وبرجوعنا إلى الأستاذ بنمليح، وجدنا أنه ذكر لنا شهادة مهمة تخص المواجهة المرابطية البرغواطية وهي عبارة عن سؤال وجه إلى الفقيه المحدث أبي جعفر الداودي المتوفى سنة 402 هـ حول بيع برغواطة وشرائهم ومن غنمهم وهل تضرب عليهم الجزية إن أجابوا إلى ذلك بعد القهر؟، فكان جوابه " .... إذا سبي برغواطة فبيعهم جائز واسترقاقهم إذا خمسوا وقسموا، ولا تقبل الجزية منهم إن بذلوها وإنما جاء النص في الجزية في أهل الكتاب والمجوس "[3].ولم يفرق المرابطون في سياستهم بين أميرأ وعامي، فكان كل من خالفهم في سياستهم قد يؤدى به إلى الإسترقاق[4]، ومثال على ذلك أنه لما جاء الأمير إبراهيم إلى يوسف بن تاشفين للمطالبة بملك أبيه، بعث له الأمير يوسف بن تاشفين الأمير مزدلي[5] الذي نصحه فقال له : " أخاف أن يجعل على رجليك قيدا ويحبسك[6] ومن هذا الكلام نستدل أن المرابطون سيحولون كل مخالف لهم إلى عبد من عبيدهم .

1– ابن الخطيب: المصدر السابق، ص :288 .

2- إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص :133 .

3– بنمليح عبد الإله نقلا عن الداودي: المرجع السابق، ص: 136.

4– عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص :155.

5-الأمير مزدلي هو إبن عم الأمير يوسف بن تاشفين قدمه يوسف على رأس جيش كبير توجه إلى مدينة تلمسان واستولى عليها دون قتال ويوسف بن تاشفين كان يعتمد عليه في كثير من الأعمال وكان حسن السياسة صحيح المذهب عارفا بخدمة الملوك، (ابن عذارى: المصدر السابق،ج4، ص: 29).

6- نفس المصدر و الصفحة

ولما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس كان دخوله عليها بالسيف، فهدم أسوارها وقام بتخريبها، حتى أنه قتل أزيد من أربعة ألاف رجل سنة 454هـ[1].

ورغم تكتم المصادر وإهمالها للسبي المرابطي من الجهة الجنوبية، حيث اشتغلت بالتأريخ للمرابطين بالأندلس فأغفلته،إلا أن أبو عبيدة البكري الذي عاصر فترة الدراسة تناوله في إشارة منه إلى أن صنهاجة الصحراء " مجاهدون للسودان "[2]، ولا شك أن الجهاد كان يقضي إلى القتل والسبي معا.أما من الناحية الشرقية فقد حدث أن الأمير الزيري الحسن بن علي قد طلب العون من المرابطين في الحصار الذي تعرضوا له من قبل روجار الثاني صاحب صقلية، فأرسل يوسف بن تاشفين أسطولا بحريا بقيادة عبد الله بن ميمون (516هـ/1122 م)، فأغار هذا الأخير على جزيرة صقلية النورماندية فسبى نسائها وأطفالها وقتل شيوخها، وسلب جميع ما وجد فيها[3]، وفي رواية التيجاني " قتل وحمل نسائها سبيا ..."[4]،

أما بالنسبة إلى السبي الغير مسلم فتعتبر إسبانيا المسيحية المصدر الأول له، من خلال الحروب والصدامات المسلحة التي خاضتها الدولة المرابطية مع القوى النصرانية على امتداد التخوم الأندلسية[5].

1-ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص: 141؛ينظر: محمد عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، القاهرة، 1997م،عصر دول الطوائف، ص :109 ؛ ويذكر ابن الخطيب في **تاريخ المغرب في الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د.ط)، 1944، ص311:" أنه قتل سبعة آلاف من جملة ثلاثة وأربعين ألف".

2_البكري: المصدر السابق، ص 164.يؤكد لنا نص ابن عذارى هذه الفرضية إذ يقول : " وكان يلي لمتونة جبل فيه قبائل من البربر على غير دين الإسلام فدعاهم عبد الله بن ياسين إلى الدين فامتنعوا له فأمر يحي بن عمر بغزوهم، فغزاهم لمتونة وسبوهم، وقسموا سبيهم بينهم، وأخذ أميرهم خمسهم، وهو أول خمس قسمه اللمتونيون في صحرائهم "، البيان، ج4، ص :12 .

3 -عبد المنعم حمدي: المرجع السابق، ص :224 .

4- أبو محمد عبد الله التيجاني: **رحلة التيجاني**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتابة، ليبيا- تونس،(د ط)، 1981 م، ص 339، وفي رواية ابن عذارى " سبى نسائها وأطفالها "، البيان ج 4، ص :308 .

5- بنمليح: المرجع السابق، ص :129 ؛ أنظر عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص : 155 .

وتروي المصادر بخصوص أسرى النصارى عند المسلمين، أن سبي معركة الزلاقة[1] كان أول سبي للمرابطين من إسبانيا، حيث بلغ عدد الأسرى من النصارى عشرين ألفا، تم نقلهم إلى المغرب الأقصى[2] ، وهو عدد غير مبالغ فيه خاصة إذا علمنا أن كل طرف قد جهز لهذه المعركة ما استطاع من قوة، ويشير لنا ابن خلدون أن بعد الإنتصار الباهر للمرابطين على النصارى عمل المرابطين على قتل الأسرى والتنكيل بجثثهم " أباد القتل والأسر من عداهم من أصحابهم وحمل المسلمون بعد ذلك من رؤوسه صوامع يؤذن عليها [3]، إلى جانب معركة الزلاقة كانت هناك عدة معارك أخرى إستطاع المرابطون أن يغنموا منها العديد من أسرى النصارى، منها معركة إقليش[4] (501هـ/1108م)، حيث كان من الوفرة إلى حد أن المرابطين بدأوا يتبادلون بهدايا السبايا، وفي عام 503هـ / 1110م تحرك علي بن يوسف من مدينة مراكش إلى الأندلس بهدف الغزو والجهاد وفتح عدة مدن ووقع النهب والسبي فيها[5]

1- معركة الزلاقة 479هـ/1086م بين جيوش المسلمين من دولة المرابطين وجيش المعتمد بن عباد ضد الملك لقشتالي الفونسو السادس التي رجع فيها الانتصار الى المسلمين وانهزام القوات الصليبية ،وغيرت هذه المعركة مجرى التاريخ الاسلامي من خلال انها اوقفت زحف النصارى في أراضي الأندلس كما أنها أخرت سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس إلى قرنين ونصف تقريبا، مجهول :الحلل الموشية،ص :51 ؛ الحميري : الروض المعطار،ص :28 .

2_ابن عذارى: المصدر السابق ، ج4، ص :55

3- ابن عذارى، نفسه،ص138. وفي رواية لإبن القطان تعرض الأسرى النصارى إلى القتل:" لما دخل المرابطون سنة 503هـ قتلواجميع من فيها من النصارى واستنقض من كان فيها من الأسرى..."، نظم الجمان، ص :14.

4_أو إقليج، دارت بين المرابطين والنصارى وهي الموقعة التي إنتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة، وبمصرع إبنهشانجه، إبن القطان، نظم الجمان، هامش ص :63.

5_عبد الاله بن مليح، المرجع السابق، ص ،حيث قدر صاحب الحلل الموشية عدد جيوش النصارى بثمانين ألف بينما قدر جيش المسلمين بخمسين ألفا،مجهول،ص56، ووافقه في ذلك إبن الأثير، المصدر السابق، ج8 ،ص447، بينماقدرهم عبد الواحد المراكشي بعشرين ألفا، المصدر السابق،ص94.

كما يذكر نفس المصدر في جوازه سنة511هـ[1] ، حيث كانت جولاته في مدينة قلمرية عادت منها جيوشه إلى أشبيلية[2]، وقد أصابت غنيمة عظمت أسرى كثيرة[3]،هذا وقد حمل علي بن تاشفين سنة 532 هـ / 1137 م من مدينة أشكونة من الأندلس ستة ألاف سبية[4].

ومما يزيد في توضيح طبيعة الصراع الدائر بين الدولة المرابطية والقوى النصرانية، ما يفهم من النص الذي أورده ابن عذارى إذ يقول : " ولم تزل بعد ذلك الحروب متصلة والمضارب متمردة ... والغزوات متوالية ... والحرب سجال والنفوس أجال"[5] .

مما لا جدال فيه أنه كما إمتلأت أيدي المسلمين بالسبي المسيحي إمتلأت كذلك أيدي الإسبان بالسبي المغرب ـ الأندلسي، هذه السبايا التي كانت بسبب الحروب والمعارك المستمرة بين المرابطين والإسبان.

تغيرت معاملة المرابطين للأسرى و أصبحت تتصف بالتسامح، فلم يقوموا باظطهادهم ولا بقتلهم ولا حتى إجبارهم على الدخول في الإسلام إلا من إختار ذلك عن قناعة[6]،كما إستفاد المرابطون من أسراهم فاستعملوهم

1-حسين مؤنس: **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الثقافة الدينية، (د ط)، 1992، ص :37.

2-اشبيلية مدينة تقع غرب الأندلس على نهر الوادي الكبير ويذكر أهل اللسان اللاتيني أصل تسميتها أشبالي ومعناه المدينة المنبسطة لها أسوار وسوقها عامر وأهلها كثير، الحميري: المصدر السابق، ص_ ص: 58-60 .

3-السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص :26.

4-ابن عذارى: المصدر السابق، ص_ص :52-54.

5-نفسه، ص :55 .

6- نفسه، ص :29.

في فداء أسرى المسلمين الذين كانوا يعانون في دار الحرب، وروى لنا الونشريسي قصة الأسير النصراني الذي دخل بمحض إرادته في الإسلام فقال : " أن أسير نصراني بمالقة فدي بمال فأسلم قبل الخروج منها "[1] ويذكر ابن عذارى عن فداء المسلمين أن الأمير تاشفين ترك الأسرى النصارى الذين وقعوا في قبضة الجيش المرابطي، خلال المعركة التي وقعت سنة 526هـ/ 1131م بقلعة رباح ليفادوا بها في دار الحرب[2].وأكد إبن رشد المعاصر لفترة الدراسة في إحدى نوازله حرص المسلمين على فداء أسراهم " في حكم الأسير الذي لا سبيل إلى فك أسره إلا بالعلج الذي أبا صاحبه بيعه إلا بأضعاف ثمنه، فكان جواب إبن رشد على تلك النازلة أن الواجب أن يؤخذ منه بالأكثر مما اشتراه به، مستندا في حكمه على وجوب فداء المسلمين أسراهم بأنفسهم وأموالهم"[3].

عمل المرابطون على إستثمارالأسرى المسيحيين بضمهم إلى الجيش والحرس الخاص، بحيث شاركوا في حراسة معاقل المغرب حتى في حروب الدولة ضد الموحدين[4].

ومن خلال الإشارات القليلة التي تحدثنا فيها عن روافد الرقيق سواء السبي المسلم أو الغير مسلمون لوضعيتهم من بداية الدولة إلى نهايتها، لاحظنا أن تركيز الدولة على قتل الأسرى في مرحلة الدعوة قد تغيرت في مرحلة تأسيس الدولة، بحيث تنوعت معاملة الأسرى منذ عهد يوسف بن تاشفين ودخول المرابطين إلى الأندلس لعدة

1-الونشريسي، **معيار المعرب وجامع المغرب عن فتاوى افريقية والأندلس والمغرب**، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف د. محمود على مكي ،وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، للمملكة المغربية الرباط (دط1)، 1981، ج2،ص 180.

2_ ابن عذارى المصدر السابق، ص ص 85-86 . وفي ذلك انشد الشعراء :

انت يا تاشفين و الله واق *** للأنفس العلى و شخص الكمال
ليس آمال من على الارض *** إلا أن ترى أنت غاية الأعمال

3_ ابن رشد ، فتاوى ابن رشد ، س1 ، ص 580

4_ رينهرت دوزي:**المسلمون في الاندلس،ج3**، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، (د م ن)، (د ط)، 1995، ص :164

أسباب منها الإحتكاك بعناصر أندلسية جديدة وإضافة عنصر النصارى ضمن أسرى المرابطين،حتم عليهم تنويع طرق المعاملة وتوسيع وعاء الإستفادة منهم في مختلف المجالات، خاصة من خلال تجنيدهم،إضافة إلى تطور أسس الدولة وتوسيع مجالاتها و إمكانياتها، ما جعلها أكثر تريثا وعقلانية في التعامل مع الأسرى، ففضلت إستعمالهم واستغلال طاقتهم فيما يفيد مصالحها بدلا من قتلهم .

ثانيا/التجارة :

كانت التجارة من أهم مصادر جلب الرقيق في المغرب الإسلامي لذلك سنتطرق فيما يلي إلى المواطن التي كان يجلب منها الرقيق في عصر المرابطين .

مثلت العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى وجنوب الصحراء مصدرا هاما للدخل القومي للدولة المرابطية، وساعد على ذلك إحكام سيطرتهم على أقاليم المغرب الأقصى وبالخصوص الطرق التجارية المؤدية إلى الجنوب (بلاد السودان)، وحرصهم على توفير الأمن مماساعد على انتظام القوافل التجارية المتجهة إلى الجنوب والقادمة منه [1]، فمعظم المصادر تحدثنا عن كثافة الإتصال التجاري السوداني المغربي خلال العصر المرابطي وسيولة تدفق السلع بين المجالين، وتنوعت السلع التي كان أشهرها على الإطلاق الذهب لكثرته في بلاد السودان، وإلى جانبه الرقيق أو كما تسميه بعض المصادر الذهب الأسود[2]، ولما كانت بلاد السودان مصدرا هاما لرقيق المغرب الأقصى، فقد أقبل المغاربة على جلب الرقيق من بلاد تكرور وغانة وجناوة[3]، كما يشير

1-الإدريسي، المرجع السابق، ص:23.

2-نفس المرجع والصفحة.

3-منطقة من مناطق بلاد السودان تبعد عن أنجيمي مسيرة ستة أيام وبها الكثير من السكان يحترفون التجارة، ينظر الحميري، [1]المصدر السابق، ص: 294.

الإدريسي المعاصر لدولة المرابطين إلى أرض زغاوة فيذكر : " أن أهالي المدن المجاورة يسرقون أبناء هؤلاء القوم الذين ينتقلون في هذه الصحاري ويسيرون ليلا إلى بلادهم، ويخفونهم بعض الوقت، وبعدها ،يبيعونهم إلى التجار القادمين إليهم من المغرب الأقصى بثمن بخس "[1]،الأمر الذي ساعد على رواج هذه التجارة وانتشارها بكثرة، وهو ما يتضح من قول الإدريسي : " ويباع منهم في كل سنة أمم وأعداد لا تحصى "[2]، كذلك من المحطات المهمة للقوافل التجارية المتوجهةإلى بلاد السودان هي سجلماسةوأودغست[3].

فتجار المغرب الأقصى كانو يقصدون مدينة غانة لما فيهامنأسواق رائجة للرقيق الأسود المجلوب من بلاد السودان فتجلبه القوافل بدورها إلى بلاد المغرب عن طريق أودغشت، التي تبعد عن سجلماسة مسيرة أربعين يوما على حد قول الإدريسي[4]، حيث كان المشرفون على تجارة الرقيق في هذه المنطقة هم بربر صنهاجة و كانوا يجلبون الرقيق من غانة مقابل تصدير الملح المستخرج من أرضهم [5]، وإلى جانب مدينة أودغشت ثمة

1-الادريسي: المصدر السابق، ص : 33.

2- نفسه، المرجع السابق ، ص :85 .

3- البكري، المصدر السابق، ص :168 ، أنظر:الحميري؛ المصدر السابق، ص 63؛ طه جمال: نفسه، ص :86.

4-الإدريسي:المصدر نفسه،ص 168

5-نفسه، ص: 169.

.

.

مدن مغربية مثل أغمات ودرعة ونول ساهمت في تنشيط جلب الرقيق من بلاد السودان إلى داخل المغرب[1]،وبلاد وركلان بلاد عبيد ومنها يدخل العبيد إلى المغربالأوسط[2]، شكلت الواجهة الشمالية لبلاد المغرب بوابة رئيسية كما شكلت الواجهة الشمالية لبلاد المغرب بوابة رئيسية للعلاقات التجارية بين بلاد المغرب والأندلس، والغرب الأوروبي ولعل ما زاد في النشاط التجاري بينهما هو الإمتداد الطبيعي للقطرين،إذ لا يفصل بينهما إلا مضيق جبل طارق[3].

إلى جانب الأحداث السياسية خاصة بعد جواز المرابطين إلى الأندلس، برسم الجهاد والدفاع عن أهلها ضد النصارى والتي إنتهت بإخضاع الأندلس لحكم المرابطين، فأصبحت إقليما تابعا للقاعدة المركزية بمراكش[4] وتنوعت السلع التي كان يتبادلها المغرب وأوروبا خلال القرن الخامس هجري، بحيث عرفت هذه الفترة تدفقا بشريا بينهما، سواء عبر الحروب أو عن طريق التجارة، فالأسرى والسبي ثم الإسترقاق من كلا الجانبين [5]وعن طريق مسالك التجارة الأوروبية تدفق الرقيق الأبيض إلى أرض المغرب بواسطة البحر الأبيض وسمي الرقيق

1-ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 100.

2- الإدريسي: المصدر السابق، ص: 100.

3- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص: 284.

4- نفس المرجع والصفحة.

5- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص:164.

.

الأبيض في المصادر التاريخية نسبة إلى مواطنهم العبيد الصقالبة،الإفرنج، الجليقيون والروم وغيرهم[1]، غير أن نسبة الصقالبة قد غلبتهم [2].

أورد لنا صاحب الحلل الموشية عن جملة ما اشتراه يوسف بن تاشفين منالرقيق سنة 464هـ/1071م فقال " لما كانت سنة أربع وستين وأربعمائة قوى أمره و عظمت شوكته فبعث إلى الأندلس فاشترى جملة من العلوج "[3]

ورغم أن العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلامي عرفت نشاطا ملحوظا في فترة الدراسة،إلاأننا لم نجد مادة تاريخية تتحدث عن تلك التجارة (تجارة الرقيق)، لكن بالمقابل وجدنا مصادر تتحدث عن تجارة الرقيق من المغرب إلى المشرق،فإبنخرداذبة تحدث عن يهود تجار كانوا مشاركين بقسط كبير من التجارة بين المغرب والمشرق برا وبحرا فقال : " كانوا يجلبون من المغرب إلى المشرق الخدم والجواري والغلمان"[4].بعد تحديد المواطن الرئيسية لجلب الرقيق نحو بلاد المغرب والأندلس، سواء من إفريقيا (بلاد السودان) أو من الأندلس والغرب المسيحي، سنتطرق إلى أسواق بيع الرقيق مع ذكر المعاملات التجارية بانتقاله من يد إلى أخربقام السوق بدور كبير في حياة المدينة بصفته عنصرا أساسيا لعظمتها[5]وقد عرفه إبن

1-أما الصقالبة نسبة الى منطقة السلاف بأروبا الشرقية...، والجليقيون كنسبة الى منطقة جليقية...الروم والإفرنج يقصد بهم المسيحيون من بلاد الغال و شمال اسبانيا ،خالد حسين محمود:**الرقيق و الحياة الإجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الاربعة الاولى** ،مصر العربية ،ط1، 2009 ،ص_ص 20_34

2_بنمليح:المرجع السابق، ص :214.

3_ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص : 25

4– ابن خرداذبة: **المسالك و الممالك** ، تحقيق د يخويه، طبع ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1927، ص : 25 . ويذكر ابن حوقل :" ويأتي في مقدمة السلع التي يصدرها المغرب الى المشرق المولدات الحسان والغلمان الروم .... المجلبون من أرض السودان وأرض الصقالبة " .(ابن حوقل: صورة الأرض، ص :65 .)

5- بان علي محمد البياتي، **النشاط التجاري في المغرب الاقصى خلال القرن (3_5هـ/9_11م)**، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، قسم التاريخ، 2004، ص: 94.

منظور فقال : " السوق هو موضع البياعات ...."[1]،أما زياد نيقولا فيعرف السوق بأنه الذي يجتمع فيه الإنتاج المحلي والبضائع المستوردة[2]، وشهدت أسواق المغرب والأندلس في فترة المرابطين إزدهار في الحركة التجارية، ونشاط في البيع والشراء وهذا راجع إلى عدة عوامل منها الإستقرار السياسي، الذي شهدته البلاد نتيجة حرص الأمراء استتباب الأمن، ما سهل عملية الإتصال التجاري بين مختلف المدن[3].

وحرصت الدولة المرابطية على حماية، وتوفير كل ما تحتاجه القوافل التجارية، ما جعل من المغرب الأقصى ممرا آمنا للقوافل الخارجة من بلاد السودان والمتجهة نحو مدن الأندلس وأوروبا، وهو ما أدى إلى تنشيط الحركة التجارية بين مختلف مدن المغرب الأقصى مع مدن المغرب الأوسط وكذا مدن الأندلس[4]، خصصت المدن الإسلامية أماكن لتجارة الرقيق حملت عدة أسماء، كسوق الرقيق في المشرق الإسلامي[5]، و المعرض[6]، أو البركة[7]،أو سوق الخدم و العبيد كما يسمى ببلاد المغرب الإسلامي[8].

إلى جانب مختلف الأسواق التي كانت تزخر بها بلاد المغرب الأقصى، هناك أسواق خاصة للجواري والعبيد يعرف باسم "المعرض"يجلب إليه الرقيق من جميع أنحاء المعمورة، فنجد بها الرومية والبربرية والوالعراقية

1-ابن منظور، **لسان العرب، ج1**، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص ص:127 -128.

2_ زياد نيقولا،**الحسبة والمحتسب**، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، (د.ط)، 1963م، ص20.

3-حسن علي حسن :المرجع السابق ص :266[1]

4-عيسى بن الذيب:لمرجع السابق،ص : 357

5- عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص 224

6-السقطي: **آداب الحسبة**، نشره ليفي بروفنسال وجون كولان، باريس، (د.ط)، 1931م، ص: 48.

7- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 4، ص: 316 .

8- المقري، نفح الطيب، ج 5، ص: 486 .

والحجازية والزنجية والصقلبية، كما تباع فيه جواري المتعة أو الإنجاب، وتختلف أسعارها بحسب ما تتمتع به كل واحدة من جمال ومواهب وما تجيده من فنون[1].

وقد ذكر الونشريسي أن بعض الجواري كن يتمتعن بموهبة الغناء، فيشير إلى أن رجلا من أهل المغرب كان قد إشترى جارية تغني في الأعراس، وغير ذلك من المناسبات الأسرية السعيدة مقابل أجر معلوم، وأجاب بعدم الجواز، أي لا يجوز لمولاها الإنتفاع بأجرها فكان عليه أن يتصدق بذلك المال في حالة ما إذا توفيت[2].

أورد البكري نصا يوضح فيه أن مدينة أودغست سوقا يباع فيه الرقيق،وبها السودانيات اللاتي عرفن ببراعتهن في الطبخ وتحضير الأطعمة، وكانت الواحدة منهن تباع بمائة دينار أو أكثر[3]واهتم ببيع الرقيق تجار مختصون، لا تكشف النصوص التاريخية عن إسم حرفتهم صراحة[4]، وحملوا أسماء مثل"الدلال" في بغداد وفاس[5]، وإلى جانب الدلال إستعملت المصادر مصطلح"النخاسة" في إفريقية منذ بداية القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي، و كذا القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي، ثم في الأندلس[6].

1_السقطي:المصدر السابق، ص ص : 47-48.

2-الونشريسي: المصدر السابق، ص : 54 .

3 – البكري:المصدر السابق، ص : 158 .

4- ابن الزيات التادلي:**التشوف لرجال التصوف** ، تحقيق:أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة،(د ط)، الدار البيضاء، 1984م ص : 224 .

5-نقولا زيادة: المرجع السابق، ص : 24 .

6- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1،ص :186.

من الجدير بالذكر أن الكتاب والمؤرخين والفقهاء إتفقوا في مصادرهم التاريخية عن خسة وخبث النخاسين، فابن عذارى يورد لنا عن أحد النخاسين المسمى أحمد البلوي نخاس الرقيق،كان ممن جاهروا بتحليل المحرم وأكلوا الخنزير وشربوا في رمضان جهارا[1].

هذا ووصفتهم بعض كتب النوازل بعدم الصلاح وقلة الأمانة[2]، ويذكر السقطي في آداب الحسبة : " باعة الخدم والعبيد بأنهم قوم خطبهم جلل"[3]، أي أنهم يمتازون بالخداع والحيلة[4]

وشكلت أسواق النخاسة سببا هاما من أسباب كثرتهم هذه الكثرة أدت إلى إنتشار عقود البيع[5]، حيث يتم تسجيل عمليات البيع في دفتر ويحمل إسم البائع وصفته، ويكون معروفا أو يأتي بمن يعرفه[6].

ومن الملحوظ أن امتلاك العبد كان حتى عند أهل الذمة من خلال أن غلاما إدعىأنه مسلم بن مسلم وهو في خدمة يهودي وادعى اليهودي أنه عبده[7].

سبق وتحدثنا عن خبث النخاسين ومكرهم،إذ أنهم يلجئون إلى الحيلة والتدليس في إخفاء عيوب رقيقهم

1- نفس المصدر و الصفحة[1]

2 – الونشريسي، المصدر السابق، ص 225 . .

3_السقطى :المصدر السابق:ص 47

4_ يعرض النخاسون تجارتهم ويصنفون رقيقهم إلى زمر وتعرف كل زمرة بمزاياها وخواصها، ويقف الرقيق في منصة ليراه المارون، فيشتريه من يدفع ثمنا أعلى، وللمشتري أن يقلب العبد أو الآمة بنظره ويده كما تقلب أية سلعة يريد شرائها، عبد السلام الترمانيني، **الرق ماضيه و حاضره**(دط) _، الكويت، 1979م، ص: 87.

5 – القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص: 195

6_عبد الإله بنمليح: المرجع السابق، ص : 288 . أنظر عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، 1997 م، ط 1، ص ص 225 – 339، 343 – 345 .

7- بوتشيش: نفس المرجع، ص: 237

خاصة الإماء، بالرغم من خضوع تلك التجارة للرقابة الشديدة لما تدره للدولة من أرباح[1]، حيلهم ببيعهم صنفا بدل آخر،أو التخلص من العيوب الحلقية في الرقيق من النساء ويضعوا سمات جمالية على أجساد العبيد، فاستعملوا مواد مثل الحناء حتى يبدو جسدالآمةأكثر نعومة والرقيق السود يطلون بدهن البنفسج، والسمر من الإماء يوضعون في حمام فيه ماء الكرويا، لمدة أربع ساعات، فتخرج عنه وقد صارت ذهبية[2].

ويسترسل السقطي في الوصفات التي كان النخاسون يعدونها بدقة لتجميل عبيدهم من خلال تحمير الخدود، وتغيير لون الشعر أو تغطية النمش وإخفائه ببعض الدهون،أو إخفاء الروائح الكريهة عن طريق الدهن بالبنفسج والطيب[3]، لكنه ليس بوسعنا التفصيل الوصفات النبات والمكونات وإلا سنخرج عن موضوع الدراسة .

ويذكر لنا الونشريسي عن جيل النخاسين فيقول :" ويبيعون العبد وفيه عيب خفي أو مرض لا يفطن إليه المشتري بأن يكون العبد مسروقا أو يكون أهل يمكنه الهروب إليهم،أو يكون حرا قد استعبد، لذلك شددت الرقابة عن تلك الأسواق، وكان على النخاسين أن يقسموا على ألا يكتموا عيبا دقيقا أو كبيرا[4].

وفي مقابل ذلك كان هناك مشرف على السوقعامة سوق الرقيق خاصة وهو ما يعرف " صاحب السوق " أو " صاحب الحسبة "، وهو الذي قام بدور الرادع لممارسات النخاسين وخداعهم[5].

1– عبد السلام الترمانيني: نفس المرجع، ص: 88 . للمزيد من المعلومات حول الحيل التي إستعملها النخاسون لبيع رقيقهم أنظر السقطي: رسالة في الحسبة، ص ص : 50-51 .

2_ السقطي، نفسه ص : 50 .

3_نفس المصدر والصحة.

4 – الونشريسي، المصدر السابق، ص : 58

5_ المقري، المصدر السابق، ج 1، ص : 218

وهكذا تعالت أصوات المحتسب والفقهاء، والمفتين، والقضاة، من أجل ضبط عملية البيع والشراء والتزام حدود الشرع وتعاليمه .

ومن القوانين التي كانت مشروعة أنه بإمكان المبتاع رد الأمة أو العبد خلال عهدة ثلاثة أيام، إذا أصابه صداع أو جرح أو رمد، أي أمراض غير مزمنة، وفي ذلك يذكر ابن المراكشي عن العهدة التي تعطى للمبتاع " .... ثلاثة أيام سوى اليوم الذي إشترى فيه وإن كان في أوله، أما بالنسبة للأمراض المزمنة مثل الجذام والبرص والجنون، فقد حددت في سنة إذا ظهرت عليه تلك الأعراض المذكورة "[1].

أسهبت المصادر خاصة الفقهية منها، في الحديث عن إستبراء الأمة قبل إنتقالها من سيد إلى آخر فإبن رشد شدد على وجوب الإستبراء الذي يكشف عن حال الأرحام، واتقاء أختلاط الأنساب ونشوب إختلافات بشأنها " إستبراء الإماء من البيع واجب لحفظ النسب ، ...فوجب على كل من إنتقلإليه ملك أمة ببيع أو هبة،أو ميراث،أو وصية،أو بأي وجه كان من وجوه الملك ولا يعلم براءة رحمها أن لا يطأها حتى يستبرئها[2].

غير أن السقطي يذكر لنا نموذج عن عدم استبراء الأمة، بحيث كلفه أحدهم بكتابة عقد جارية إشتراها فقال : " فسألتها عن استبرائها فلم يجده ولا حتى البائع منه لا يعرف حكم ذلك، فقلت لهما : لا بد أن توقف للإستبراء عند ثقة من النساء تتفقان عليها،أو عند رجل من الثقات من أهل الدين والأمانةتكون عند أهله حتى إلى أن يتحقق استبراؤها، فقال المشتري : تقول لي شيئا والله ما سمعته قط ولا عمل معي ،إنما عادتي أن أشتري بالمعرض

1-المراكشي، المصدر السابق، ص:326.

2-_ إبن رشد، **المقدمات والممهدات لبيان ما اقتظته رسم المدونة من الأحكام** ، مطبعةالسعادة، مصر، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص : 141 - 142 .

.

الخادم وأبيت معها ليلة ذلك اليوم، فانفصلت تركتهما "[1]، وسعيا وراء تيسير عمليات البيع حددت كتب الفقه والنوازل العيوب التي يرد بها العبدأو الأمة وقد أشار في ذلك صاحب المعيار : " ... مثل الجنون والجذام والبرص والفالج والقطع والشلل والعمى والعور والصمم والخرس والزنى والسرقة والقمل والإباق ... والبول في الفراش "[2].

لذلك كان لزاما على النخاس أن يكون بصيرا بالعيوب حتى يوفق عملية البيع، ويفض النزاعات التي كانت تقوم عند وقوف المبتاع على مثل تلك العيوب، وهي كثيرة فيظفر إلى رد سلعته[3].

مهدت هذه الفتاوى استجلاب الرقيق إلى أرض المغرب الأقصى، واستطاع هؤلاء الرقيق أن يمثلوا عنصرا من عناصر المجتمع المغربي في دولة المرابطين، تطور أمرهم فيما بعد عندما استخدمهم المرابطين في جيوشهم وتنظيماتهم العسكرية فصاروا يكونون فرقة من فرق الجيش المرابطي، تزايدت أعدادهم بالمدن المغربية.

المبحث الثاني: أنواع الرقيق

بعد أن بينا أهم المسالك التي جلب منها الرقيق نستخلص إلى وجود صنفين من الرقيق حسب لون بشرتهم من أبيض وأسود، وحسب موطنهم الأصلي، فمنهم الرقيق الإفريقي ذو البشرة السوداء والرقيق الأوروبي ذو البشرة البيضاء .

1-السقطي، المصدر السابق، ص: 48.

2– الونشريسي، المصدر السابق، ص: 59.

3_السقطى، نفس المصدر والصفحة

.

أولا/الرقيق الأسود : تعددت تسمية هؤلاء السود في المصادر التاريخية، فالفتح بن خاقان أقدم من ذكرهم باسم الزنج[1]، وسماهم أبو حامد الغرناطي باسم " قوقو"[2]، أما إبن القطان فأطلق عليهم إسم " جناوة"[3]، مشيرا إلى كناوة وهي مدينة بربرية تقع في بلاد السودان، وتتصل بأرض غانة ومن ثم يمكن الربط بين هذا العنصر البشري وتجارة السودان[4] .

وكانت أفواج العبيد السود تدخل من البلاد الشرقية من زويلة، و البلاد الغربية عن طريق أودغشت و ازداد عدد تلك الأفواج بعد الفتح المرابطي[5].

وفي حديثنا عن مدينة أودغشت نجد المصادر قد أضافت في مدح جواري أودغشت باعتبارهن" جواري حسان بيض الألوان، منشيات القدود، لا تتكسر لهن نهود، لطاف الخصور ضخام الأرداف ..."[6]، واستخدمن للمتعة والترفيه هذا بالنسبة للجواري البيض الألوان على حد تعبير البكري،اما الرقيق ذو بشرة سمراء لعلهن من أصول

1- المقري: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ج4، تحقيق ابراهيم الأبياري وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1939، ص: 22 .

2- أبو حامد الغرناطي، **تحفة الألباب و نخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب،(دط)، الجزائر، 1989م، ص: 43.

3-إبن القطان: المصدر السابق، ص : 117 ؛ أقبل أهل المغرب والأندلس على إقتناء رقيق السودان وازداد عددهم إبان فترة المرابطين إذ أن أرض صنهاجة الصحراء مجاورة لبلاد السودان، بالإضافة إلى تأمين المرابطين لخطوط التجارة عبر الصحراء وبالتالي تحسن تحسن العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وأرض السودان، واستقرت العلاقات بين المغرب وغانة، هذا ما أدى إلى تدفق السود عبيدا أو أحرارا على بلاد المغرب ، بن مليح، المرجع السابق، ص : 201

4- بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي ص: 48 . و مما يدل على تواجدهم في هذه المدينة أن أحد أحيائها عرف باسم حومةجناوة .

5-عز الدين أحمد موسى: **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6 هـ**، ص 117، أنظر البكري، المغرب، ص 158، الإستبصار، ص _ص: 105-216 .

6- البكري: المرجع السابق، ص : 158.

بربرية زناتية صنهاجية لتواجدهن هناك[1]، ومن ثم إستخدامهن في الخدمات المنزلية، حيث عرفوا بإتقانهن للطبخ وتفوقهن في إعداد أشهى وجبات الغذاء هذا ما جعل المغاربة يتهافتون عليهن لجلبهن وتكليفهن بشؤون المطبخ، ويصف لنا البكري أن" أهل أودغشت بوفرة الأموال لديهم إمتلكوا كثيرا من الرقيق، بحيث كان للرجل منهم ألف خادم وأكثر"[2]، وبخصوص أماكن تمركز هذه الفئة، قد حفلت بهم مدن المغرب الأقصى الذكور والإناث معا، ونسبة تمركزهم تفاوتت من مدينة إلى أخرى، و شكلت مدينة سبتة نسبة كبيرة لحضورهم هذا ما جعل أهلها يتضايقون منهم، فقد ورد سؤال حول السودان والسودانيات الذين يجتمعون للعب في الأعراس وأفتى في النازلة القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأموي سنة 527 هـ أنه ينبغي أن يمنعوا من ذلك ويزجروا[3]، ولكن هذا لا يمنع من وجود سودانيات مستقرين بين السكان، ففي إشارة للبكري لوجود منطقة لا يقطنها إلا السود في قوله " إقتصار ساكنة منطقة قرب وادي سبو بالمغرب الأقصى على السودانيين وحدهم، ولا يسكن بوادي سفدد أبيض اللون إلا إعتل وقل ما يسلم من علة وإنما يسكنه السودان، وإذا رأو رجلا أبيض اللون قد دخل عندهم ينادي بعضهم بعضا ميز ميز بمعنى الإستغراب"[4]، ولم يقتصر تواجد العنصر السوداني على المغرب بل تعداه حتى الأندلس، لأن الأمراء المرابطين قد شكلوا منهم فرقا كلفت بالمهمات الصعبة، وتذكر لنا المصادر أن أول مساهمة للسلطة السياسية في جلب الرقيق واتخاذهم حرسا وجندا، بدأ في عهد يوسف بن

1- لا توجد نصوص تجيبنا بشكل دقيق حول هذا التساؤل، غير أنه تتوفر إشارات تؤكد أن سكان مدينة أودغشت هم من زناتة و العرب، البكري: نفس المصدر، ص 168 . ينظر بنمليح: المرجع السابق، ص : 208 .

2- البكري: نفس المصدر والصفحة.

3-- الونشريسي: المصدر السابق، ج 1، ص : 533 . وسبب تواجدهم بكثرة في مدينة سبتة يعود أساسا لكونها إحدى مناطق عبور القوات المرابطية للأندلس، أنظر إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 93 .

4- إبن عذارى: المرجع السابق، ج 4، ص : 23 .

تاشفين الذي إشترى" جملة من عبيد السودان سنة 464هـ ألفين فأركبهم فرسانا"[1]، لما عرف عليهم من قوة التحمل والصبر هذا ما جعل دولة المرابطين تعتمد عليهم في الحروب حتى أنه بلغ عددهم في معركة الزلاقة نحو أربعة ألاف سوداني[2]، وكذلك لما عزم أمير المسلمين علي بن يوسف على تجهيز حملة كبيرة لمواجهة إبنرذمير بالأندلس، فرض على المدن المغربية المختلفة أن يجهزوا عددا من أبناء السودان بسلاحهم للإشتراك في الحرب[3].

وتميز هؤلاء العبيد بسالتهم وقوتهم البدنية والقدرة على تحمل في المعارك، وفي ذلك يذكر أحد المؤرخين: "لم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاءأربعة ألاف سوداني ودخلوا المعترك بدرق اللمط[4] وسيوف الهند، ومزاريق الزان، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها، وأجحمت عن أقرانه، وتلاحق الأذفونش بأسود نفذت مزاريقه فأهود ليضربه بالسيف فلصق به الأسود وقبض على عنانهوانتضى خنجرا كان متنطقا به فأثبته في فخذه"[4]، ومما يدل على وجود أعداد كبيرة منهم في المغرب أن علي بن يوسف عندما أمر رعيته بتجهيز سودانهمبسلاحم ونفقاتهم يغزون مع الجيش كما ذكرنا سابقا كان قسط أهل فاس ثلاث مائة في سودانهم[5]، وهذا يدل على مدى كثرة تواجدهم بالمدن المغربية، ويشير إبن عذارى إلى قتل ثلاثة ألاف سوداني كانوا ضمن الجيش المرابطي إثر المواجهات المرابطيةالموحدية 524 هـ / 1130هـ في هجوم على

1- إبن عذارى: المرجع السابق، ج 4، ص : 23 . [1]

2- السلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص : 43 .

3– حسن علي حسن: المرجع السابق، ص: 222 . ينظر: إبن القطان: المصدر السابق، ص : 109 .

4_ هي لباس حربي خفيف يستعمل كدروع في الحروب، وهو السلاح الذي يستعمله السود خاصة، ينسب هذا السلاح إلى لمطة إحدى قبائل الملثمين، وهو مصنوع من جلد حيوان اللمط، تفويق مزاري عبد الصمد: المرجع السابق، ص : 130.

5- إبن القطان: نظم الجمان، ص: 109.

6- ابن عذارى،البيان، ج 4، ص : 84 . أنظر: إبن القطان: نفسه، ص- ص : 116- 117.

مدينة أغمات[6]، لكن في المقابل تسبب هؤلاء السود في إندلاع الثورات كما حدث في ثورة قرطبة سنة 514هـ/1120م[1]، ومن الضروري الإشارة إلى أن جل العبيد السود جاءوا من أرض كناوة ولكن هناك إشارات إلى عبيد من الحبشة وأرض النوبة أيضا[2] .

وصفوة القول أن السودان شكلوا شريحة من شرائح المجتمع المرابطي الذي إعتمد عليهم في غزواته وداخل أوساط الرعية .

ثانيا/االرقيق الأبيض : كنا تحدثنا عن الجهة الجنوبية لبلاد المغرب التي إزدهرت فيها التجارة بينها وبين بلاد السودان خاصة بالنسبة إلى الذهب والرقيق، ولكن في المقابل شكلت الواجهة لبلاد المغرب بوابة رئيسية للعلاقات التجارية بين بلاد المغرب والأندلس والغرب الأوروبي، واستمرت سيولة التجارة بين أقطار البحر المتوسط، رغم تغيير موازين القوى لصالح الأوروبيين في القرن 5هـ /11 م، وعبر التجارة والحروب التي دارت بين المغرب وأوروبا تدفقت أعداد بشرية جديدة إلى المغرب والأندلس[3]، وسمت مصادر الفترة هؤلاء نسبة إل مواطنهم بمصطلحات عامة مثل رقيق "الأعاجم"[4] و"الغلمان"[5] و"العجم"[6]، وأخرى صقلبي أوجليقي أو إفرينجي فضلا عن اللفظ الشائع الفتيان[7].

1- السقطي: رسالة في الحسبة، ص 49 ، 50 . أنظر إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 171 .

2-عبد الاله بنمليح:المرجع السابق،ص :213.

3_نفس المرجع و الصفحة

4-المراكشي:وثائق المرابطين والموحدين،ص :298

5-ابن عذارى:المصدر السابق ج3 ،ص :189

6-المراكشي: نفسه،ص :381

7[1]-نفسه:ص ص :325_289

وغلبت الرقيق الصقالبة أكثر من سواهم خاصة خلال القرن 4-5 هـ /10-11 م، وقد عرف المسلمون الصقالبة في وقت مبكر سواء في المغرب أو المشرق، أطلق الجغرافيون العرب إسم الصقالبة على الشعوب السلافية الساكنة في البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقا إلى البحر الأدرياتيكي غربا وهي ما كانت تسمى بلغاريا العظمى[1]، فابن حوقل أرجع أصلهم إلى ولد يافث بن حام[2]، ومعنى كلمة صقلبي بالفرنسية إسكلاف وتعني عبد أو رقيق[3].والمعنى نفسه استعمل في الأندلس إذ صار يطلق أولا على أسرى الحروب الذين كان يأسرهم الجرمان والسكندنافيون ويبيعونهم للأندلسيين، وهذا المعنى أصبح شاملا على جميع أرقاء الأمم المسيحية سواء عن طريق الإقتناء أو الأسر[4']

عرف أغلب الصقالبة المجلوبين من الأندلس بصغر سنهم حتى يتربوا على الولاء والطاعة، وقد دربوا على أعمال القصر والحراسة والجيش وأعمال أخرى[5] ، وتذكر أغلب المصادر أن أول من إستخدمهم في عصر المرابطين هو يوسف بن تاشفينفإبن عذارى أورد لنا "وبعث إلى الأندلس وابتيع له جملة من الأعلاج ....وانتهى عنده منهم شراء ماله مائتان وأربعون فارسا"[6] .

1_أحمد مختار العبادي: المرجع السابق،ص :198

2_ أطلق عليهم إسم الخرس لأنهم لم يكونوا يعرفوا لغة البلاد في بداية أمرهم فكانوا أشبه بالخرس، أنظر:المقري، المصدر السابق، ج1، ص342.

3-إبراهيم القادري بوتشيش،:المرجع السابق،ص :45

4-أحمد مختار العبادي نفس المرجع و الصفحة

5__شريفي نورة : المرجع السابق،ص :58.

6__إبن عذارى: المصدر السابق،ج4،ص23. و هي الرواية التي أوردها صاحب الحلل الموشية غير أنه يذكر أن عدد الفرسان مائتان وخمسون، غير أنهما تتفقان حول الإسم" العلوج "و ليس إسم الصقالبة، (مجهول:الحلل الموشية ص27.)

والهدف من وراء شراءه هؤلاء العلوج هو تقوية شخصيته وفرض هيبته وهذا ما يفسره إبن عذارى في قوله:"وأركب الجميع فغلظ حجابه وعظم ملكه"[1] لكن صاحب الحلل الموشية يعتبر عليا بن يوسف هو من إستعملهم لأن علي يعتبر أول من وظفهم في الدولة بما في ذلك جباية الضرائب وقيادة الجيش حتى أن عددهم بلغ في الأندلس وحدها أربعة آلاف سنة 538هـ[2].

فالملاحظ من هذين الرأيين أن يوسف بن تاشفين إستعملهم كحرس خاص وداخل بلاط الولاة، أما علي إبنه فاستخدمهم في الجيش ساعيا على استغلال تقنياتهم الحربية، فالبربر كانت طريقتهم في القتال تقليدية بواسطة الكر والفر لكن الأعلاج قد اعتادوا الثبات في الزحف وهذا ما جعل المرابطين في قتالهم للمسيحيين يحاربوهم بالطريقة ذاتها[3]، خاصة وأن الدولة المرابطية التي طغى عليها الطابع العسكري كانت تبحث عن كل الوسائل لإنجالح مشروعاتها الحربية.

وتتحدث المصادر عن الرقيق الجيليقي حيث تفصح الوثائق المتعلقة ببيع العبيد أو استأجارهم في بلادالمغرب خلال فترة الدراسة حيث أوردت لنا تلك الوثائق سبع إشارات من بين 11 وثيقة[4]

كما وردت إشارات أخرى في وثائق المرابطين عن أصولهم الفرنجية أربع مرات من بين 11وثيقة، تؤكد بعض المصادر أن خصيان بلاد المغرب كان من الفرنجة والسودان[5]، ويدخل ضمن العبيد "الرقيق الرومي" ففي إشارة لإبن حوقل إلى صادرات المغرب من الرقيق الأبيض إلى المشرق حيث نص إلى ما

1__ابن عذارى،المصدر السابق: ج4، ص :23

2_مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 131.ينظر:إبن عذارى:ج4، ص :102

3_إبن الخطيب:إلاحاطة في أخبار غرناطة،ج2،ص :69.

4_لمراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، وثيقة 2 ص 298، وثيقة 3 ص 325، وثيقة 4 ص 328 ،وثيقة 5 ، ص : 377، وثيقة 9، ص 344، وثيقة 12، ص : 351، وثيقة 20،ص :371.

5- ابن حوقل : المصدر السابق: ص:91

يتجهز به إلى المشرق من المغرب "الغلمان الروقة الروم"[1]، وهي عبارة صريحة لوجود الرقيق الرومي ولا يقصد بهم الصقالبة والجليقيين أو الإفرنج لأنه يكمل في حديثه عن الرقيق البيض من صادرات الأندلس إلى المشرق"الرقيق من الجواري و الغلمان الروقة من إفرنجي وجليقي والخدم الصقالبة""[2] ويبدو أن مصطلح الروم يشمل جميع الرقيق الأبيض في بلاد المغرب والأندلس صقالبة وجلالقة وإفرنج وغيرهم[3].وحلت مصطلحات الروم، الحشم، العلوج،محل مصطلح" الصقالبة"[4]، فأحد الباحثين[5] أرجع هذا التغيير في المصطلح إلى تغيير الجهة التي أصبحت تستقدم منها هذه القوة البشرية فلم تعد تجلب من بلاد السلاف كما كان في السابق بل اقتصرت على الإمارات المسيحية في الأندلس خاصة قشتالة، وظل إستعمال مصطلح الروم حتى فترات لاحقة عن القرن 6هـ – 12 م، و قد ورد عبيد بيض من الجزر الرومانية على بجاية في القرن 7هـ –13[6].

يتضح مما تقدم أن الروم رغم قلة عددهم لعبوا دورا هاما داخل المجتمع المرابطي حيث صارت بأيديهم أهم الوظائف المخزنية بل صار مصير الدولة نفسها ملك أيديهم .

1-ابن حوقل :المصدر السابق، ص : 95

2– نفسه، ص-ص : 105- 106.

3_ مثال ذلك الأبيات الشعرية الأربعة التي أوردها إبن دحية للشاعر الوزير أبي بكر محمد بن عمار القرن 5 هـ /11م متغزلا في مملوك رومي، المصدر السابق، ص : 172 .

4_ بوتشيش: المرجع السابق، ص 46.أنظر:الإحاطة، ج1، ص414

5- نفس المرجع والصفحة؛ ومما يدل أكثر على توجه تجار الرقيق إلى شمال إسبانيا يتعلق الأمر بأمة إدعى أحدهم أنه "إشتراهابالثغر الأعلى"، السقطي، المصدر السابق، ص54، ونفس المصدر يتحدث عن جارية حسناء، قريبة العهدبالجلب من بلاد الروم، السقطى:المصدر السابق: ص 54.

6-_أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف و الترجمة و النشر، بيروت، ط1، 19[1]

المبحث الثالث : الوضعية الإجتماعية للرقيق

1 – أوضاع العبيد الذكور:

بعد أن أبرزنا مصادر الرقيق والمناطق التي يجلب منها، وبينا أنواعه بحسب تلك المناطق،سواء من إفريقيا (الرقيق الأسود)،أو من أوروبا (الرقيق الأبيض) ، إنتهينا إلى التساؤل عن وضعيتهم الإجتماعية وكيف كانت معاملتهم من طرف المرابطين ؟ أهي معاملة حسنة أم معاملة استغلالية ؟ .

ففي إشارة إلى أحد الباحثين في أن معاملة العبد كانت كريمة على حد قوله نتيجة المعاملة الحسنة من طرف أسيادهم وهذه الأوضاع هي التي لم تستدع قيامهم بثورات في المغرب ضد السلطة[1].

لكن المصادر المعاصرة لفترة الدراسة تمدنا بمعلومات تخالف ما ذهب إليه هذا الباحث، فمنذ بداية العصر المرابطي حذر قاضي المرابطين مراد الحضرمي من مجالسة الأمراء للخدم والعبيد يقول :"أن الخدم لا يكون نديما وأن العبد لايكون للحر قرينا"[2]

واستمرت هذه الروح الإستعلائية حتى العصور اللاحقة وهو ما تقدسه الأمثال التي دعت إلى عدم الإختلاط بهم "من خالط الخدم ندم ونظر إلى العبيد السود بعين الإزدراء"، "أسود على أسودهم أن لا يرقد"[3].

1_ عز الدين موسى:**النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي**، ص_ ص: 120_ 122 .

2 – الحضرمي: **الإشارة في تدبير الامارة**، تحقيق دمامي النشار، دار الثقافة، طبعة بيضاء،1981، ص : 78

3– طه جمال: المرجع السابق، ص: 140 .

إلى جانب السخرية والإستهتار من السود، تعدى بعض الشعراء إلى التعبير عن حقدهم للعبيد، كما تبينه لنا أبيات الشاعر أمية بن عبد العزيز أبي الصلت الذي عايش الفترة المرابطية في ذمه للعبيد فقال :

ورب بيت حميت غيظا **** من أسود اللون كالخبيث[1] .

وكانت حياة الرقيق صعبة جدا وسيئة غذائيا، كما كانوا يعملون دون هوادة واستغلوا إستغلالا فضيعا، فسخروا في الأعمال الشاقة إلى جانب الأعمال المنزلية،إذ ما يكادون أن ينتهوا من عمل حتى يجدوا عملا آخر في إنتظارهم[2].

أما بالنسبة للأمور الشخصية للعبيدعلى حسب ما ذكره الأستاذ طه جمال فلم يكن لهم الحق في التصرف فيها إلا باذنأسيادهم حيث تمدنا المصادر الفقهية بالعلاقة بين العبد و سيده التي كانت فيها سلطة الأسياد سلطة مطلقة على عبيدهم ويذكر لنا نفس المرجع نقلا عن الجزيريأن الأسياد هم من كانوا يقومون بتزويج عبيدهم،ويلزمونهم بشروط في عقد نكاحهم،واختلفت تلك العقود من من عبد لآخر حيث كان الأسياد يدفعون مبلغ صداق عبيدهم، وفي حالة عدم قيام السيد بدفع الصداق يدفعه العبد بعد إستئذان سيده[3]، ووصلت سلطة الأسياد على عبدهم إلى امتلاك كل صلاحيات عبيدهم أو إيمائهم، حتى وإن لم ينل الزواج رضاهما، فالأمة التي تتزوج بغير إذن سيدها نكاحها فاسد، ولم يقتصر المنع على الأنثى دون الذكر، ذلك أنه لم يسمح لأحد

1__بوتشيش: الإسلام السري، ص 246، 242،ص68.

2 – طه جمال: المرجع السابق، ص 140 .

3 – نفس المرجع والصفحة.

العبيد بانكاح آمة لأن العبد لا يتصرف بعقد نكاح نفسه فلا يجوز إقدامه على إنكاح غيره[1]، ومن مظاهر هذا الإعتبار إشتراك شريكين في أمة واحدة، وكان العبيد يورثون كما تورث الأملاك إلا إذا ترك السيد وصية بتحريره[2]، واعتبروه سلعة من السلع خصوصا أنهم يشيرون عن طريق عقود شراء يوضح فيها تاريخ وسنة البيع وخلو العبد من جميع عيوب الرقيق[3]، ويذكرالتادلي كره أحد أصحاب الحوانيت بالمغرب الأقصى من إعطاء الصرف لأحد عبيده لأن سيده كان ممن لا يرتضي مكسبه[4].

ولعل أن من أكثر ما يبرز وضعيتهم الإجتماعية حرمانهم من تلقيب أنفسهم بأسماء الأشخاص الأحرار،وكان يختار لهم إسممن الأسماء الملائمة للرقيق[5]، وقد عاش العبيد بالحرمان والشعور بالإحباط، من خلال عدم مراعاة المجتمع مشاعرهم، وهو ما توضحه أحد النوازل أثناء تنابز المتخاصمين الأحرار، حيث يشتم بعضهم

1_طه جمال : المرجع السابق، ص : 141 .

2 – فتاوى ابن رشد: س2، ص 1580، س3،ص : 1328 .

3 – طه جمال:المرجع نفسه، ص: 141 .

4 – التادلي: المصدر السابق، ص : 257، و مما يدل على تبعية العبد المطلقة لسيده ما نظمه الشاعر السميسرأحد شعراء الحقبة المرابطي بقوله : اذا رأيت العبد فاحكم على *** مولاه من ظاهر مرآه

دليل حال المرء عندانه *** و العبد من طينة واحدة

إبنبسام الأندلسي: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس، بيروت، القسم الأول، المجلد الثاني، ص:88

5- بوتشيش،الإسلام السري،ص: 241.

.

البعض إبان إنفعالاتهم بصفات العبودية والرقيق[1]،كماوضحت كذلك بعض الفتاوى معاناة أبناء الرقيق في إثبات نسبهم[2].

2– أوضاع الجواري :

تعددت الأراء في المجتمعات الإسلامية حول خصال الأجناس المختلفة من الرقيق الإناث بحيث خصصت لكل جنس خصائص محددة تراه أحسن من غيره فيها، وقسمت المصادر الجواري إلى صنفين إما جواري خدمة و إما جواري أداء وهذا للتفرقة بين من كانت ذا قيمة حتى أصبحت أم ولد وبين من يؤتى بها لأجل أشغال المنزل فقط .

لطالما اعتبر الرقيق الأبيض من أحسن أصناف الرقيق، لما يتمتع به من جمال المظهر، خاصة و أن الرأي العام قد فضل البربريات و الصقلبيات، و ميزهن عن بقية الإماء بالحسن والجمال الفائق، وقد نوه أحد الباحثين بجمالالصقلبيات المجلوبات عن طريق الأندلس، لذا كان الأمراء والخلفاء يتخذون أمهات أولادهم[3]

1– الونشريسي: المصدر السابق، ج 2 ،ص : 514 .

2-ابن رشد: ج 2، ص 1081؛ حيث كتب الفقيه ابن رشد من مدينة سبتة في ادعاء أحد الرجال في رجل آخر أنه غلامه من أمة كانت له و قال المدعي فيه : انما أنا ابنك في حرة بنت حرين .

3-طه جمال: المرجع السابق، ص : 143 .

صورة الأرض: ص100 ، كما وصف البكري جواري أودغشت بأنهن" حسناوات الوجوه بيض الألوان منتنيات الفذود، لا تنكسر لهن نهود، لطاف الخصور، ضخام الأرداف واسعات الأكتاف، ضيقات الفروج المستمتع بهن كأنه مستمتع ببكر أبدا "، (المصدر السابق، ص : 158، ينظر مجهول: الاستبصار، ص : 215 .)

4 – السقطي، المصدر السابق، ص ص 49- 50 . ويذكر البكري أن نساء البصرة الواقعة بين طنجة وفاس، فيهن إماء مخصصات بالجمال الفائق والحسن الرائع ليس بأرض المغرب أجمل منه، المغرب، ص :110.

أما فيما يخص الجواري البربريات فيعتبرن من الرقيق المرتفع لما اشتهرن به من حسن، فنوه إبن حوقل بحسنهن ونعتهن بجمال الألوان والوسامة وحسن القوام[1]، وذكر السقطي في وصفه للبربريات أنهن جبلن على الطاعة،وأنشطهم للعمل وأصلحهم للتوليد واللذة وأحسنهم للولد[2].

وفي المقابل كان للرقيق الأسود أهمية كبيرة في بلاد المغرب خلال هذه الفترة، رغم منزلة الأبيض من الإناث على الرقيق الأسود، لكن نجد فيما ذكرته المصادر عن إعترافات بجمال أصناف عديدة من الجواري السود، فمثلا ذكر السقطي أن الإماء السود بالأندلس كن يتخذن للفراش والولد،فروى تقليب أحد الأثرياء من الخاصة لجارية سوداء جميلة وصفها بائعها " هي الكانة القد الحالكة، البديعة الصورة الحلوة الشكل .....وجود مثلها نادر "[3].وتنوعت مناطق جلب الرقيق المؤنث السود منها مملكة غانة، التي إشتهر رقيقها بأنه أجمل أنواع السودان، حيث امتازوا بخصال جسدية من لطافة خصر وجمال عينين واستقامة أنف وبياض سنانوطيب رائحة في الأفواه، وبشعورهن البسيطة وذكائهم النادر[4]

كما عرفت النوبيات والزنجيات باتخاذهن لرضاعة الأطفال وتربيتهم،رغم سوء خلقهن وسلوكهن وخاصة شهرتهن بالسرقة وقلة الأمانة على حد تعبير السقطي[5]، إلا أنهن عرفن بالرأفة والحنان .

1_ صورة الأرض: ص100 ، كما وصف البكري جواري أودغشت بأنهن" حسناوات الوجوه بيض الألوان منتنيات الفذود، لا تنكسر لهن نهود، لطاف الخصور، ضخام الأرداف واسعات الأكتاف، ضيقات الفروج المستمتع بهن كأنه مستمتع ببكر أبدا "، (المصدر السابق، ص : 158، ينظر مجهول: الاستبصار، ص : 215 .)

2 – السقطي، المصدر السابق، ص ص 49- 50 . ويذكر البكري أن نساء البصرة الواقعة بين طنجة وفاس، فيهن إماء مخصصات بالجمال الفائق والحسن الرائع ليس بأرض المغرب أجمل منه، المغرب، ص :110.

3_ السقطي: المصدر السابق، ص: 50 .

4_ الإدريسي: المرجع السابق، ص: 45.

5-– السقطي: نفسه، ص ص : 49 ،50

وكان أغلب عبيد أهل المغرب من الجواري السودانيات وذلك لقدرتهن و مهارتهن على القيام بالخدمات المنزلية أكثر من غيرهن، خاصة لما عرف عليهن من تحمل المشاق والصبر على العمل[1].

وقبل الحديث عن وضعية الجاريات إرتاينا أن نفرق بين من إستخدم منهن كخادمات، وبين من اتخذن سرايا، حيث أقرالإسلام ظاهرة تسري الأحرار بالإماء، فخول للحر أن يتخذ سرية أي جارية ليتمتع أو يتسرى بها[2]، والمجتمع المغربي كغيره من المجتمعات الإسلامية عرف بظاهرة التسري بالإماء لا سيما من المسيحيات الروميات[3]، ومنهن من قمن بدور سياسي بتدخلهن في توجيه السياسة المرابطية [4]، وهو ما سنتطرق للحديث عنه في الفصل الثالث.

وقامت كتب الحسبة بتصنيف للجواري على حسب الأقاليم التي تنتمي إليها وفيما تصلح أن تشتغل، فصنفها السقطي مثلا بين " الخادم البربرية للذة، والرومية لحيطة المال والخزانة، والتركية لإنجاب الولد، والزنجية للرضاع والمدنية للشكل والعربية للطرب ....."[5].

1– طه جمال: المرجع السابق، ص: 144 ينظر البكري، المصدر السابق، ص : 158، حيث يذكر عن مدينة أودغشت أن بها سودانيات جيدات للطبخ، و كانت الواحدة منهن تباع بأكثر من 100 مثقال من الذهب

2– طه جمال: نفسه ، ص- ص : 145 146 .

3– إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص : 157 165 ، حيث ذكر أن أم علي بن يوسف بن تاشفين كانت أم ولد رومية تسمى قمر و كذلك أم تاشفين بن علي كانت أم ولد رومية، (أنظر جورج مارسيه، **بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمد عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الإستبصار، الإسكندرية، 1991، ص :283

4_ إبن عذارى: البيان ج 4، ص : 97 .

5-_ السقطى: المصدر السابق، ص :49؛ وانظر ترتيبه وتصنيفه للجواري حسب مهامهن الصفحة 50

وهكذا كان للجواري وضعية مختلفة إذ كن شابات وذوات جمال، فكن يصبحن ساريات محبوبات، ويدخلن الحرم السلطاني أو الأميري أو المنزلي، ما أهلهم أن ينعموا بحياة كريمة داخل المجتمع المغربي باختلاف طبقاته[1].

3- الخادمات :

شاع إستخدام الخدم من الإناث في الأسرة المغربية بالخدمات المنزلية، واستخدمهم الأثرياء والأعيان، حتى أن الزوجات ذواتا الأقدار كن يطلبن الخادمة بمثابة النفقة لهن[2]، لذا اشتد الطلب عليهن وارتفعت أسعارهم إلى درجة أعجزت غير الميسورين من التمكن من شرائهن على حسب ما ذكره الونشريسي في المعيار[3]،أسندت إلى الخادمات لا سيما السودانيات منهن كثير من الأعمال المنزلية من طحن وعجن وطهي للطعام وكنس وفرش وسقي المال وغسل الثياب والغزل والنسيج وغير ذلك من الخدمات[4].

ومما يزيد تأكيدا على إستخدام السوداوات في الأعمال المنزلية أنه كان لإبن قزمان جارية سوداءتدعى زاد المال تولت شؤون منزله ذكرها في عدة مواضع من أزجاله[5]

ولمكانة الإماء عند سيدهم أصبحن من المقربات و اعتلت الرتب حتى أصبح لهن دورا واضحا في الحياة السياسية، كالجارية قمر التي لعبت دورا سياسيا كبيرا في إمرة علي بن يوسف بن تاشفين واستطاعت إقناعه بولاية عهد لإبنها سير[6]، ورغم أن حقوق هؤلاء كانت محفوظة إلى حد كبير، إلا

1- جمال طه: المرجع السابق، ص 147

2_ جمال طه: المرجع السابق، ص 148 .

3_ الونشريسي: المعيار، ج 4، ص : 256

4_ طه جمال: المرجع نفسه ص : 149

5_ قزمان: **ديوان إبن قزمان**، دراسة وتحقيق ف. كورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، (ب ط) ، 1980م، ص _ ص 138-139.

6-الونشريسي:المصدر السابق،ج2، ص :99

أنهن تعرضن إلى بعض صور المهانة والإزدراء من قبل أسيادهن، فقد وردت في نوازل الونشريسي أن خادمة أغضبت سيدتها فتوعدتها السيدة بإخراجها من الدار حتى ولو أراد سيد الخادمة إرجاعها[1]، وروى إبنعيشون عن تعرض بعضهن إلى الضرب من قبل أسيادهن[2].

وردت في كتب النوازل الفقهية تلك المنازعات التي كانت تقوم بين الأسياد في إدعاءاتهم حول ملكية الخادمات أو الوصيفات ، الناتجة عن عدم معرفة الخادمة لهويتها اتجاه سيدها، ولا غرو في ذلك إذا علمنا أن الأمة كانت تباع مع إبنها الصغير في صفقة واحدة دون مراعاة أدنى شروط الإنسانية[3] .

كما عانت الخادمات من الوضعية المتردية الخاصة بحياتهن الزوجية، فكان زواج الأمة لا يتم إلا بإذن سيدها وإلا اعتبر زواجها فاسدا، وليس لها حق في أن تقبض صداقها لأن سيدها أحق بقبضه، وكان السيد يتولى كافة الأمور المتعلقة بالزواج[4]، وجاء في فتاوى إبن رشد أن" رجلا إشترى أمة مع إبنتها فوطئها، ثم وطىءإبنتها بعد أن كبرت"[5] ، وهذا يوضح لنا مدى تطاول سلطة الأسياد على ذرية الأمة التي بحوزته.

1-جمال طه:المرجع السابق، ص : 149

2_ إبن عيشون الشراط: **الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس** ، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الأداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ص : 209 .

3_جمال طه:المرجع نفسه، ص- ص : 150-151.

4- نفسه، ص : 150

5_ إبن رشد: المصدر السابق، ج 1، ص: 1080.

1

ومن مظاهر الإحتقار والضروب التي عانت منها الإماء كذلك أنهن منعن من قضاء بعض الواجبات الإجتماعية كعزاء الميت أو ما شابه ذلك، فإذا فعلن ذلك عد فضولا وتطاولا منهن ولقين سوء الجزاء[1].

وأدى العتق[2] إلى تحرير الرقيق في العديد من المناسبات مثل الإنتصار في المعارك كما حدث في إنتصار الزّلاقة حيث تم عتق العديد من الأرقاء، أو وصية من السيد في حالة وفاته بعتق مملوكه أو مملوكته[3]، وذكرت لنا كتب النوازل عن مثل هذه الوصايا، ففي رواية لإبن رشد أنه سئل عن نازلة في رجل توفي وأوصى بوصية عتق جارية كانت حاملا منه فأجاب : " أنه إذا ثبت حمل الجارية الموصى بعتقها من سيدها وخرجت حرة من رأس ماله كانت الوصايا في ثلث بقية بقية المال، بمنزلة أن لو ماتت أو استحقت بحرية أو ملك، ولا اختلاف في ذلك، وإنما يختلف على علمك إذا استحقت بحرية أو ملك فيرجع فيها بالثمن الوصايا أم لا ؟ "[4] أما إذا وقع حملا للأمة من سيدها قبل وفاته فيحكم للأمة بالحرية بعد الوضع[5]، أوعن طريق زهد في الدنيا

1-بوتشيش الإسلام السري، ص: 141.

2_ وهو مصدر التشريع الأول في الإسلام، ويليه في هذا الأمر السنة النبوية، فكلا المصدرين إعتنيا بقضية الرق عناية خاصة، فقد مضت الشريعة في تقييد القيود في مسألة الإسترقاق، وقد تم حصر أكثر من مئتين وأربع وثلاثين أية في كتاب الله كلها تخص الرق منها ما كان في نكاح الإماء ومنها ما كان بالتعامل بالرفق واللين معهم ومنها ما كان بالعتق لهم وتحريرهم، وكلها معنية بأحكام الرق على أنهم من خلق الله، ومن نماذج العتق قوله تعالى " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله " . سورة النساء الأية 92 ، وكثيرة هي الأبواب التي خاضها الشرع لعتق الرقاب، أما في السنة النبوية فقد روى أبو هريرة عن النبي(ص) في الحديث : " أنه من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار "، وكتب السنة أفردت أحاديث العتق لكثرتها في السنة النبوية في أبواب وفصول خاص فيها، وأوصى النبي (ص) بالأدب والتعامل الحسن مع المملوك فقال : " من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه "، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال (ص) : "لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي " لأن العبودية لله تعالى وليست للبشر، ينظر عبد الكريم بن إبراهيم، **مجلة الدعوة الإعلام الإسلامي بمفهومه العصري المتطور**، العدد 73، السنة الثامنة عشر ربيع الأخر 435 هـ ، ص : 7

3- جمال طه، المرجع السابق، ص ص: 152 – 153

4– إبن رشد،المصدر السابق، ج 3، ص: 1328

5_جمال طه، نفسه، ص: 153

حسب ما ذكره التادلي عن ما حدث من بعض الصالحين الذي تصدق بجميع ماله وأعتق مماليكه[1]، وكان بعض الأسياد يكتبون رقعة كتابية بخطهم يتركونها بيد إمائهم اللواتي نووا عتقهنيوضح في هذه الرقعة حقوقهن[2]

ووجدنا في أحد النوازل نصا عن أحد الأسياد موصيا على أمته : "إن وقع بي حدث الموت الذي لا محيد منه ولا ملجأ عنه فالمستظهر بخط يدي هذا وهي أمتي حرة لوجه الله العظيم، ولها من مالي خمسون مثقالامرابطية، وكل ما إحتوت عليه خزائنها من ثوب يصلح للبسها وهي مصدقة فيما عينته لها من غير ذلك وحرام على من ضايقه"، كما كان في إمكان بعض العبيد الحصول على حريتهم بالمال، أو أن يثبتوا حريتهم بالدليل والحجة[3].

من هذه الإشارات القليلة والنادرة حاولنا إعطاء نظرة عن أوضاع الرقيق التي تباينت ما بين التردي أحيانا والوضع الحسن أحيانا أخرى إبان فترة الدراسة، وأن أوضاعهم لم تكن متردية على طول الخط .

1_ ابن الزيات: التشوف في رجال التصوف، ص : 241

2_جمال طه:نفس المرجع و الصفحة

3_ إبن رشد: المصدر السابق، ج2، ص : 1090

الفصـــــــل الثـــــــــاني

الرق في المجتمع المرابطي

المبحث الأول: مصادر الرقيق

المبحث الثاني: أنواع الرقيق

المبحث الثالث: الوضعية الإجتماعية للرقيق

المبحث الأول:الدواعي العسكرية للاسترقاق:

1_الطابع العسكري للدولة:

كان الاهتمام بالجيش تعدادا وقوة وتنظيما من أبرز سياسة المرابطين ذات الطابع العسكري ففي إشارة لابن خلدون أن دولة المرابطين غلب عليهم الجانب الحربي من خلال قوله: " إنتباذا عن العمران واستئناسا بالإنفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر كانوا لا يعرفون حرثا ولا يأكلون الخبز إلا أن يمر بهم التجار ويتحفونهم بالدقيق فاضطلعوا بدور ملوك الصيد الذي جعلهم يلازمون السلاح"[1]، كثرة الحروب نمى لدى صنهاجة اللثام المراس العسكري خاصة الحروب التي خاضوها في القرنين التاسع والعاشر ميلادي ضد قبائل السود المجاورة وإستطاعوا أن يحققوا انتصارات باهرة مكنتهم من تكوين دولة صنهاجية فرضت وجودها على مملكة غانة وأصبحوا أكبر المستفدين من تجارة القوافل سواء نقلوا البضاعة أو أخذوا إتاوات من القوافل للسماح لهم بالمرور[2].

ويعتبر أول إرهاص عسكري للمرابطين الرباط الذي أقامه عبد الله بن ياسين الجزولي مع سبعة من نفر جدالة ويحيى بن عمر بن تلاكاكين من رؤساء لمتونة في منحنى من نهر النيجر، على مقربة من تمبوكت[3]، وما لبث أن اشتهر أمر الرباط وكثر أتباع ابن ياسين الذين توافدوا عليه من كل النواحي

---

1 _ابن خلدون العبر:ج6، ص: 181؛ ينظر: ابن أبي زرع :المصدر السابق، ص: 76؛ كما أن دولة المرابطين بالرغم من انطوائها تحت لواء الدعوة الدينية والإصلاحية التي نظمها عبد الله بن ياسين قبل كل شئ دولة عسكرية؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 417.

2_أندري جوليان:المرجع السابق، ص: 105.

3_ابن أبي زرع، نفسه، ص: 79؛ ينظر: ابن خلدون:نفسه، ص :178

فعكف إبن ياسين على تثقيفهم ووعظهم وإلهام حماسهم للجهاد في سبيل الله، ولما بلغ أتباعه الألف رجل سماهم بالمرابطين [1]، ودعاهم إلى الجهاد وأعلن الحرب حتى يبسط سلطانه على تلك الصحاري، بحيث تغير أسلوبه الدعوي إلى الأسلوب العسكري من خلال ردع كل المخالفين من لمتونة ومسوفة وجدالة وسائر القبائل الصنهاجية [2].

كما تمكنوا في سنة (446هـ__1054)من الاستيلاء على أودغشت، مفتاح طريق تجارة القوافل وإخضاع أهم مماليك السودان غانة [3].

ورافق هذه الحركة في الجنوب نزوح صنهاجة اللثام نحو الشمال، ويرجع بعض المؤرخين أن سبب ذلك يعود إلى عامل سياسي وهو مملكة غانا في الجنوب واشتداد ضغطها على المرابطين فاضطروا أمام هذا الضغط التوجه نحو الشمال إلى المغرب، لكن ما لبثت أن سقطت في يد أمير المرابطين أبي بكر بن عمرو 486هـ/1076م هذا دليل على أنّ مملكة غانا لم تكن تشكل ضغطا على المرابطين[4].

مهما يكن فإنّ القوة العسكرية التي ظهر بها المرابطون مكنتهم من إخضاع جميع بلاد المغرب و جعله تحت سيطرتهم

1_كلمة رباط لغة تطلق على مكان ربط الماشية فيقال رباط الخيل واصطلاحا: ملازمة ثغر العدو أي الدفاع عن ثغور الدولة ضد الأعداء ومن أهم صفات المرابطة الجهاد في سبيل الله؛ انظر:محمد عمارة:المرجع السابق، ص 241.وخير دليل قوله تعالى" يا أيها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" سورة آل عمران ،الآية 200، وفي آية أخرى"وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل"، سورة الأنفال، الآية،60.

2_ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص: 243؛ ينظر: البكري، المصدر السابق، ص-ص: 166 167؛ محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس،العصر الثالث عصر المرابطين** ص:303 .

3_البكري: نفسه، ص: 168.

4_عباس سعدون نصراتة: المرجع السابق، ص- ص: 57-58.

2_استغلالهم كطاقة حربية:

من خلال تتبعنا للنصوص التاريخية والإشارات الواردة فيها عن الاسترقاق في العصر المرابطي نجد أن الظرفية التي تمخض عنها تواجد الرقيق خاصة رقيق السودان وبعده العبيد البيض بالمغرب والأندلس خلال فترة الدراسة تكمن فيما يلي:

_حاجة الدولة إلى تثبيت كيانها السياسي ودعم سلطانها سواء أمام العامة أو الخاصة والدفاع عن مصالحهم في الداخل والخارج، وهو أسلوب انتهجته كل دولة تسعى إلى السيطرة والنفوذ بصرف النظر عن وسائلها وأهدافها، فيوسف بن تاشفين الذي يعتبر أوّل أمير ليزيد من هيبته ويثبت سلطانه في قول ابن عذارى: " فدون الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد .....قوي أمر الأمير يوسف وعظمت شوكته فاشترى جملة من العبيد السودان وبعث إلى الأندلس فابتيع له جملة من الأعلاج ....وأركب الجميع فغلظ حجابه وعظم ملكه" [1]، وجعلهم حرسه الخاص هذا الحرس الذي أهاب به يوسف ابن عمه أبا بكر بن عمرو حيث تلقى يوسف ابن عمه الأمير أبا بكر بمظاهر السلطنة وسلم عليه راكبا ولم يترجل كعادته وحرسه الخاص محيطين به[2].

1_ابن عذارى :المصدر السابق،ج4،ص:23 ينظر:ابن الخطيب ،الحلل الموشية في الأخبار المراكشية،ص:ص 13-14 ؛ إبن أبي زرع :المصدر السابق،ص :125

2_ أبو بكر الذي ذهب إلى الصحراء ليلم شمل جدالة ولمتونة التي اختلفتا ،هذا الخلاف الذي كان بإمكانه تشتيت شمل المرابطين و قبل مغادرته إلى صحراء ترك ابن عمه يوسف بن تاشفين نائبا عنه في الشمال هذا الأخير الذي استطاع ان يخضع القبائل المغربية و جعلها تحت سيطرته ويبسط سلطانه فيها، سعدون عباس نصراتة:المرجع السابق،ص: 43 ؛ ابن خلدون :المصدر السابق،ج6،ص :184 غير أنه يذكر أن الخلاف كان بين مسوفة وجدالة.

في رواية أخرى تثبت أنّ يوسف في بداية حكمه جلب الرّقيق للهيبة والسلطان الهدية التي أهداها إلى ابن عمه أبي بكر بن عمرو ما ذكره ابن الخطيب"شرع يوسف في توجيه الهدية ..وذلك خمسة وعشرين ألف دينار من الذهب وسبعون فرسا.....وبعث له عشرين جارية أبكارا و جملة من خدم الخدمة.." [1]

_ العامل الذي نعتبره أساسيا في جلب الّرقيق هو الحروب خاصّة وأنّ دولة المرابطين دولة حروب ومغازي فلم يتوان يوسف بن تاشفين في شراء زهاء ألفين، مستعينا بتجارة الرّقيق في إقليم غانا واختار أمهرهم و جعل منهم كما أوردنا من قبل حرسه الخاص بالإضافة إلى شراءه للأعلاج من الأندلس وكانوا ضمن حرسه الخاص كذلك. [2]

_لما عبر المرابطين إلى الأندلس لقتال النصارى الذين عاثوا في الأرض الأندلسية فسادا كان الجيش المرابطي محدود العدد وقد زحف يوسف بن تاشفين بكامل قواته إلى المعركة خاصة وأنه لم يكن يرغب بإخلاء المغرب من المرابطين وهو الذي أخضعه بالسيف مخافة وأعداؤه لم يزولوا بعد من القبائل المغربية ربما إن هذا السبب الذي جعله يستخدم في جيشه أجناس أخرى من الجنود غير المرابطين.[3]

1_ابن عذارى: المصدر السابق ص26 ينظر:ابن الخطيب:نفسه ،ص:15

2-نفسه ص: 23 ؛.ابراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري،ص :233

3-سعدون عباس مصراتة :المرجع السابق ، ص: 75

_الطابع العسكري الذي قامت عليه دولة المرابطين وكثرة الحروب التي خاضتها جعلها تفقد الكثير من جنودها، فكان لابد لها أن تملأ هذا الفراغ بتجنيد أسرى الحروب أو حتى التي كانت تشتريهم من تجار الرّقيق الذين ازداد عددهم مع الوقت، ففي معركة الزّلاقة لوحدها بلغ زهاء أربعة آلاف سوداني[1].

_وفي عهد علي بن يوسف أجبر رعيته على تقديم عدد من السّودانيين الّذين كانوا خدما في منازلهم مع ضرورة الإنفاق على أسلحتهم و تجهيزهم بالمؤن والعتاد وتوجيههم نحو الجبهة الأندلسية للقضاء على القوى النصرانية هناك [2].

_ ومن المعروف أن الحروب تأكل أبنائها مثل النّيران تماما ما اضطر الأمراء المرابطين إلى الاعتماد على العبي، وصار عليهم بعد أن قلّت أعدادهم بالبحث عن مرتزقة جدد بين المسيحيين والقوط أنفسهم [3].

_ وإذا انطاقنا من الدور العسكري الذي قامت عليه الدولة المرابطية ومن المقولة الخلدونية التي ترى أن الدولة في مرحلة الهرم نستظهر بالجند المرتزقة أمكن فهم دواعي تجنيد النصارى والدور الكبير الذي لعبه هؤلاء في أواخر الدولة المرابطية [4].

1 -ابن خلكان :المصدر السابق،ج7،ص :118 للمزيد: طه جمال :المرجع السابق،ص :133 .

2_ا_ابن القطان:المصدر السابق ص :109.

3_نجيب زيبب :**الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ، دار الأمير، ط1،بيروت،1995، ص :100.

4_ابن خلدون،المقدمة،ص : 507

المبحث الثاني:طبيعة حضور الرقيق

سجّلنا إشارات في المصادر المتعلقة بفترة الدّراسة إلى وجود الرّقيق في الفرق العسكرية في الجيش المرابطي

أولا/الحشم:

عرفت معظم الكيانات السياسية في المغرب والأندلس خلال العصر المرابطي فرقة عسكرية عرفت باسم الحشم[1]،رغم شيوع هذا المصطلح في فترة المرابطين بشكل واسع حتى أصبح مرتبطا بها، إلاّ أنّنا لاحظنا من خلال المصادر التاريخية أنّه كان متداولا قبل ذلك في العدوتين المغربية والأندلسية كما استمر فيما بعد.[2]

ومصطلح الحشم ورد بمعان مختلفة فالسقطي المعاصر لفترة الدراسة جعله مرادفا للخدم و هو يروي حكاية مؤذن بمدينة مراكش " ذلك أن أحد الرؤساء أمر ليلة من الليالي حشمه وخدمه أن يتظاهروا له بحصن داره"[3]، كما يصفهم أحد المصادر هم " الأتباع والحاشية"[4].

1_تعني حشم:غضب، وحشم الرجل خاصته الذين يغضبون له عبيد أو أهل أو جيرة..فهم عياله وقرابته وخدمته.ينظر:ابن منظور ،المصدر السابق،ج2،ص92.

2_ بنمليح:المرجع السابق،ص :510.

3_السقطى: المصدر السابق،ص:8 و قد قرن استعمال المصطلح للعبيد في مناسبتين"الحشم والعبيد"و في مناسبة ثانية"الحشم والأتباع" ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، 1955م ،ص: 218.

4_ ابن الخطيب :الحلل الموشية في الأخبار المراكشية،ص : 22

بعد التوسع المرابطي في بلاد المغرب أصبحت بحاجة إلى عدد كبير من الجنود وبذلك وسّعوا دائرة التجنيد وضموا إلى جيوشهم تلك القبائل المغربية المهزومة[1]،يقول صاحب الحلل الموشية: " ضم يوسف من جزولة ولمطة وقبائل زناتة ومصمودة جموعا كثيرة سماهم بالحشم"[2]،خاصة منهم المصامدة والتي بنيت فيها العاصمة مراكش في قلب بلادها، فهي أشد قبائل المغرب قوة جعلهم قوام جيوشه، كما أدخل زناتة وغمارة ضمن الجيش المرابطي.[3]

وبهذه الإشارات القليلة عن الفرقة العسكرية الحشم نلاحظ أن العبيد لم يكونوا ضمن هذه الفرقة لكن باطلاعنا على المصادر المؤرخة لفترة الدراسة وجدنا بعض الإشارات التي تفيد بوجود العبيد داخل هذه الفرقة.

فالباحث عبد الإله بنمليح يذكر لنا عن تطور هذا المصطلح من فرقة عسكرية لا علاقة لها بالعبيد إلى الدّلالة عليهم خاصة بعد حكم يوسف بن تاشفين والمعارك التي خاضوها في المغرب والأندلس مصطلح الحشم المعبر عن العبيد لا يعدّ جديدا عن المرابطين، فهو موروث من العهود السابقة التي بينت أنّ الحشم فيها تعني العبيد أساسا، مصداق ذلك إلى تعدد الإشارات إلى كثرة استعمال هذا المصطلح في نهاية الدولة المرابطية.

1_سعدون عباس مصراتة:المرجع السابق، ص:27؛ ينظر:الناصري،المصدر السابق،ج2، ص:27 ؛ ودليل هذه الرواية هي أن يوسف بن تاشفين قد شكّل فرقة خاصة تضم العبيد إلى جانب فرقة الحشم "طائفة أخرى من أعلاجه وأهل داخلته وحاشيته فصاروا جموعا كثيرة و سماهم الداخلين"؛ مجهول:الحلل الموشية،ص :33.

2_ ابن الخطيب: الحلل الموشية في الإخبار المراكشية ،ص :22.

3_ابن أبي زرع:المصدر السابق ،ص89؛ ابن خلدون:العبر،ج6،ص :4.

4_ بنمليح :المرجع السابق،ص :513.

ففي البداية كان مصطلح الحشم يدلّ على الأتباع والعبيد حيث خاطب أحد القادة المرابطين الأمير عبد الله بن بلكين[1] صاحب غرناطة مطالبا منه إخراج من له فيها من الحشم[2]، وما لبث أن تحول هذا المصطلح من الدلالة على الأتباع والعبيد إلى الدلالة على فرقة عسكرية خاصة، ففي سنة 516هـ/1122م جهز علي بن يوسف حملة عسكرية لقتال الموحدين جيشا من الحشم والأجناد.[3]

وإبن الخطيب يذكر لنا أن هذه الفرقة ساهمت في معارك الأندلس في مقدمة الجيش ففي سنة 525هـ/1134م خاض الجيش المرابطي معركة ضد الإسبان، كان ترتيب الجيش فيها كما يلي : "في القلب مع الأمير تاشفين وجوه المرابطين وأصحاب الطاعات ....وفي الجانبين كفاة الدولة .....وحماة الدعوة من أبطال الأندلس ....وفي الجناحين من أهل الثغر .....وفي المقدمة مشاهير زناتة ولفيف الحشم" [4]

بعد عرضنا لهذا الترتيب في المعركة نميل إلى أحد الباحثين المعاصرين، إذ شكك أن لمقصود بالحشم العبيد قال:" كيف يرمي المرابطون إلى أهل ثقتهم وبمن بذلوا المال لشرائهم وتجنيدهم في

1_عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي أمير غرناطة اعتلى عرش غرناطة 469-1088 تميزت دولته بكثرة الاضطرابات والمواطئات مع ملك قشتالة الفونس السادس هذا ما أدى إلى ضياع عرشه فقد جاء الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وقام بمحاصرته في غرناطة 483_1090 فاضطر إلى أن يسلم نفسه إلى المنفى بمدينة أغمات في جنوب المغرب الأقصى**:مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان** :نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص-ص : 101 _ 104

2_نفسه : ص: 514

3__الناصري المصدر السابق :ج2،ص :93 كما وردت الإشارة إلى العبيد ضمن الحشم في الجيش المرابطي الذي تصدى لحملة موحدية عن اغمات وبلاد هزرجة بقيادة المهدي بن تومرت "فاجتمع على حربه أهل اغمات وهزرجة و خلق كثير من الحشم و غيرهم"نفس المصدر والصفحة

4_ ابن عذارى :المصدر السابق،ج4،ص: 89

مقدمة الجيش التي عادة من تتلقى الضربات الأولى، فالأولى إن كان الأمر يهم العبيد أن يظلوا محيطين بالأمير المرابطي قائد العمليات المرابطية"، واستدل بهذا القول إلى ما أشار إليه أحد المؤرخين لفترة الدراسة أن يوسف بن تاشفين قد حمل قواته على الجيش الإسباني في الزلاقة آخر العبيد وتداعى الأجناد والعبيد للنزال [1].

ومما يدفعنا إلى القول أن العبيد كانوا ضمن فرقة الحشم الخاصة في نهاية الدولة المرابطية عن مقاومة أهل مكناسة للزحف الموحدي"و كان بمكناسة نحو ثلاثة آلاف فارس من الحشد والروم وغيرهم"[2].

بعد تطرقنا للآراء المختلفة حول وجود العبيد ضمن فرقة الحشم نستخلص أن الحشم كفرقة عسكرية من العبيد قامت بدور كبير في تاريخ الدولة المرابطية والذي جعلها تقوم بهذا الدور هو التنظيم المحكم و العناية التي أحيطت بها وخاصة أن المرابطين دولتهم ذات طابع عسكري.

ثانيا/الحرس الخاص:

كنا قد وضحنا سابقا أن الطابع العسكري الذي تميزت به دولة المرابطين منذ النواة الأولى لها لهذا كان لزاما عليها الاهتمام بالجيش واعتباره من أهم أجهزة الدولة .

1_مؤلف مجهول :الحلل الموشية ،ص : 61

2_ابن عذارى : قسم الموحدين،ص : 24

كان مؤسس الدولة المرابطية الكبرى يوسف بن تاشفين جنديا وقائدا من أعظم قواد عصره فمن الطبيعي أن يزداد الاهتمام بالجيش حتى أصبح من أعظم الجيوش في تلك الفترة[1].

ويحدثنا ابن أبي زرع عن عناصر الجيش المرابطي والمتمثلة في الحرس الخاص الذي أنشأه يوسف بن تاشفين منذ بداية عهده،هذه الفرقة من الحرس التي تكونت من العبيد السودان والنصارى[2]، ويقول أشباخ: "جمع يوسف بن تاشفين بواسطة تجارة الرّقيق في إقليم غانا عددا كبيرا من العبيد اختار منهم أمهرهم وزوّدهم بالسّلاح والخيل ودرّبهم على جميع فنون القتال وأنشأ منهم حرسهم الخاص الأسود من ألف رجل حتى أنّه أنشا على مثل هذا النمط حرس خاص من الأندلسيين يتألف من فتيان من النصارى المعاهدين وكان يوسف يحبوهم بعطفه وينعم على من يمتاز منهم بالإخلاص والشجاعة بمختلف الهبات من الخيل والثياب والسلاح والعبيد"[3]

1_ محمد عبد الله عنان :دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الثالث عصر المرابطين، ص :418

2_ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص :148.

-إستعمل الحرس الخاص قبل المرابطون الأمير الحكم بن هشام (108-206هـ)أسس قرقا من الجيش النظامي خاصة بعد فشل حركة الربض التي كادت تطيح بعرشه فكون لنفسه فرقة من الحرس الخاص تعرف باسم الصقالبة، و سوا أيضا بالخرس لعجمة ألسنتهم،عبد الواحد ذنون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتابالجديد المتحدة، بيروت-ص400

-كانت قوات الحرس الخاص تتكون من أشجع الجند واشترط في قبولهم أن يكونوا ذات القوام الحسن والشجاعة القائقة والقوة والبراعة ،انظر:حمدي عبد المنعم،المرجع السابق،ص : 278 البكري :المصدر السابق،ص: 49 انظر:عز الدين موسى:المرجع السابق،ص ص: 120_122.

3_يوسف أشباخ : **تاريخ الاندلس في عهد المرابطين و الموحدين** ،ترجمة،محمد عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي، ط2،القاهرة ،1996 ،ج1،ص- ص: 479- 480.

فبالنسبة للعبيد السودان أقدم يوسف بن تاشفين على شراء مجموعة من السودان بلغ عددهم ألفين[1]

وازداد عددهم فيما بعد نظرا للصّلات القائمة بين المرابطين وغانة بحيث تكشف لنا المصادر عن وجود عدد كبيرمن العنصر السوداني المجندين في حملات الدولة المرابطية وحروبها منها نكتفي بالإشارة إلى مشاركة زهّاء أربعة آلاف سوداني في معركة الزلاقة الشهيرة[2] هذه المعركة التي كان فيها الحسم للحرس الاميري السوداني بعد طعن عبد سوداني لألفونسو في فخذه[3] و سنفصل في هذا الدور للعبيد السودان فيما بعد.

إستمر هذا العنصر الزنجي يتردد ذكره في حروب المرابطين حتى نهاية دولتهم، بل إن بعض الأماكن الجغرافية حول العاصمة مراكش تسمّت باسمهم مثل" كدية العبيد "،على ربوة بقرب من وادي تانسيفت [4].

1_ابن عذارى:المصدر السابق،ج4 ص :23 للمزيد:الإدريسي:المصدر السابق ،ص :60 ؛ ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص :139

2_المقري التلمساني:المصدر السابق، مج 4 ، ص ص :364 _ 368 ومما يؤكد زيادة أعدادهم حتى نهاية الدولة المرابطية رواية ابن عذارى أثناء حديثه عن الهجوم الموحدي بقيادة عبد المؤمن بن علي سنة 524هـ/1129م على مدينة اغمات أين قتل الموحدون في يوم واحد نحو ثلاثة آلاف أكثرهم سودان ،المصدر السابق،ج4 ،ص :84.

3_احمد مختار العبادي: **صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية،2000م ص :111.

4_ابن خلكان :وفيات الاعيان،ج7،ص :117 .

هذا الكلام يدل على أن يوسف بن تاشفين أول من استخدم النصارى كحرس سلطاني، أما علي ابنه فتوسع في استخدامهم أكثر.

وكان معظمهم من النصارى المعاهدين[1]، وقد نمت هذه الفرقة في عهد علي بن يوسف حتى غدت تمثل الجناح الكبير للجيش المرابطي، وأشهر هؤلاء القادة النصارى الّذين وقفوا مع المرابطين في حروبهم خاصة ضد الموحدين [2] هو الفارس القشتالي الذي يسمى الربرتير[3].

المبحث الثالث:مشاركة الرقيق في الحروب

كنا قد تحدثنا سلفا عن أنواع الرّقيق سواء الرقيق الأسود أو الرقيق الأبيض في عصر المرابطين تطرقنا إلى الدواعي التي أدت إلى جلبهم وكيف جعلت الدولة المرابطية منهم فرقة هامة من الفرق في الجيش كحرس خاص للأمير نظرا للأدوار الهامة التي لعبها الرقيق في الحروب أردنا أن نسلط الضوء على العبيد باختلاف أجناسهم وأصولهم روم، سودان، وصقالبة في دورهم في

1_في أوائل القرن الثاني عشر ميلادي كان لايزال يقطن جنوب إسبانيا كثير من النصارى المعاهدون و كانوا يتمتعون بحرية شعائرهم الدينية و يحتفظون ببعض القوانين من أساقفتهم وقضاتهم، لكن ثار هؤلاء النصارى ضد الحكم الإسلامي، وتحالفهم مع ملك أرغون ابن رذمير وستفتى علي بن يوسف ابن رشد حول إجلاء النصارى المعاهدون من غرناطة إلى المغرب أفتى له ابن رشد بالسماح له بجوازهم لأنهم مناقضين للعهد و هذا ماأدى بهم إلى نفيهم إلى العدوة المغربية ينظر:مجهول: الحلل الموشية،ص: 90 للمزيد: ابن عذارى :المصدر السابق،ج4،ص:73.

2_بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص :88 ؛عبد الواحد ذنون ،المرجع السابق،ص :397 .

3_ ابن عذارى:نفسه، ص : 103؛ ينظر:عصمت عبد اللّطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، هامش ص 32 - 33

الجيش خاصة الحروب لذا سنقسم الأدوار لكي تتضح الصورة أكثر رقيق سودانيون رقيق النصارى.

1_دور الرقيق السوداني في الجيش المرابطي:

من المعروف أن المرابطين استخدموا العناصر السودانية في جيوشهم وتنظيماتهم العسكرية حتى إنهم صاروا يكونون فرقة من فرق الجيش المرابطي.[1]

فيوسف بن تاشفين لما بدأ بتقوية جيشه قام بإدخال عناصر جديدة من العبيد يقول صاحب الحلل الموشية "فلما قام يوسف بن تاشفين مدبرا للأمور بدأ يبني الحصون، وينظم الجيش حتى قوى سنة أربعمائة وستون هجري، وعظمت شوكته واشترى جملة من الأعلاج ...حيث اشترى من العبيد ألفين شخص فجعلهم حشمه وحرسه الخاص"[2]

ولم يلبث هذا الحرس أن أصبح ركنا أساسيا من أركان الجيش المرابطي ساهم في تحقيق الانتصارات للدولة في معاركها ضد خصومها وخير دليل ما حدث في معركة الزلاقة الكبرى [3]

وقد شاركت في معركة الزلاقة مجموعات كبيرة من السودانيين وكانت جزء من جيش المرابطين حاربت كفرقة مستقلة هامة[4] ففي هذه المعركة قام ابن تاشفين بتقسيم الجيش بالنسبة لعساكر المرابطين وعددهم العشرة آلاف يقودهم أبرع القادة أبو سلمان داود بن عائشة، تليهم قوات الأندلس ويقودها المعتمد بن عباد

1_طه جمال :مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،ص :162 .

2_.تزايدت أعدادهم في المدن المغربية خاصة مدينة فاس الذين جهزوا ثلاثمائة غلام من السودان بنفقاتهم وسلاحهم للمشاركة في حرب الأندلس بأمر من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين ابن الخطيب: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ،ص :27 ينظر:ابن عذارى: المصدر السابق ،ص :23

3_عبد المنعم حمدي:المرجع السابق،ص- ص: 298-299؛ انظر، روض القرطاس،ص:169.

4_عبد الفتاح مقلد الغنيمي : **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، ط 1، 1994م، مج2، ص: 159.

أمير اشبيلية وهي تؤلف جيش خاص منفصل عن جيش المرابطين، أما الجيش المرابطي الآخر فعماده الحرس الخاص المكون من المماليك السودان على وجه الخصوص والقرابة المقربين تحت لواء الأمير يوسف بن تاشفين [1]

أبلى العبيد السود بلاء حسن في هذه الوقعة خاصة وأن تدخلهم كان حاسما حيث ساعدوا ببسالتهم على تحول مصير معركة الزلاقة فيوسف بن تاشفين ضرب ضربته بأن جرد عن القشتاليين حرسه الأسود البالغ أربعة آلاف مقاتل أشداء، نزلوا في جحيم المعركة ببأس وضراوة شديدة باختراقهمصفوف القشتاليين ووصولهم إلى قائدهم ألفونسو[2]، وقام أحد العبيد السود في ضربه في فخذه[3]، فصاحب الحلل الموشية حدثنا عن هذه المعركة بالتفصيل وكيف استطاع ذلك السوداني النيل من القائد القشتالي[4].

1_ صالح زهر: **موسوعة معارك العرب**، تقديم مصطفى طلاس ورياض تقي الدين، دار الندوة الجديدة ، ط1، بيروت،2004، ص:436

2_الفونس السادس "الأذفونش"أوالفنشوقشتالة(458هـ_503هـ)/(1065م_1109م) تزعم الحركة المسيحية لمطاردة المسلمين من الأندلس انظر:الحلل الموشية،ص: 21؛ ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص: 143؛ ابن عذارى،المصدر السابق،ج4،ص- ص: 50-51.

3_ نفس المرجع و الصفحة ،ص347.

4_مجهول :الحلل الموشية،ص:61؛ ويروي لنا تلاقى بالطاغية اذفونش غلام أسود بيده خنجر يدعو البرابر بالأقطس نقطع جرز درعه وطعنه في فخذه مع مدار سرجه فكان اذفونش يقول بعد ذلك التحق بي غلام اسود فضربني في الفخذ بمنجل اراق دمي، فتخيل له الأقطس أنه منجل كونه رآه معوجا ففر أمامه وسيوف المسلمين تتبعه" فالأذفونش كان في البداية يظن أن المسلمين كانوا مهزومين لولا تدخل يوسف بن تاشفين الذي كان له البديل في حسم المعركة وهم العبيد السودان؛ انظر: ابن خلكان ،وفيات الأعيان،ج7، ص :118؛ ابن عذارى، البيان،ج4،ص:117؛ لسان الدين ابن الخطيب،الحلل الموشية في الأخبار المراكشية،ص :42

وفي وقعة أخرى يبين لنا حسم العبيد السود للمعارك وقوتهم وثباتهم في الحروب وذلك في سنة 528 هـ في عهدعلي بن تاشفين هذا الأخير الذي أغزى الروم وهي ما تسمى بغزوة البكار [1]

يقول ابن الخطيب: " وفر الناس عنه وأسلمته المحلة وقصد العدو مضرب الأمير تاشفين وقد قرب فرسه لينجو عليه فانتهز ناصيته ونجا منحظه فقال لا أسلم وأسلم الأمة ولا أبرح أو أنجلي عما انجلت عليه هذه الفكرة فأحدق به رجال من أهل الأندلس وأفذاذ من المرابطين فلم يلتئم المرابطين الجمع أربعين فاعترضوا بينه وبين الروم فوقع الضرب واشتدت الحرب وعظم الخطب...والأمير تاشفين في درعه متشحا سيفه ودرقته ...فلم يرى أربط جأشا وأشهم نفسا منه....وبأخرى طعن أحد العبيد قومس الروم فأخرج الرمح من وراء ظهره فكانت المحاجزة و انصدع الفجر"[2]، هذا يوضح أكثر ما ذهبنا إليه حول حسم العبيد للمعركة بحيث أنقذ العبد السوداني الأمير تاشفين من فضيحة الانهزام بقتله أحد قواد الروم.

1_ البكار شمال قرطبة في منطقة فحص البلوط وهي بدروش حاليا وكان هذا الحصن يحتل موقعا استراتيجيا ممتازا لانه يتحكم في طريق وادي أنه،المؤدي إلىبطليوس،ابن عذارى، المصدر السابق،ج4، ص: 90؛ ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق د. مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د.ط)، 1964م،ص: 259؛ أنظر عن تلك الوقعة ابن عذارى: نفسه،ج4، ص: 89.

2_إبن الخطيب: نفس المصدر والصفحة؛ أنظر: الناصري: المصدر السابق،ج2،ص:25

تؤكد هاتين الروايتين مدى شجاعة وثبات هؤلاء السودان خاصة وأنهم كانوا يركزون على قائد المعركة الذي يعتبر ركيزة الجيش، فإذا سقط ارتبك جيشه ودب الخوف في نفوس جنوده.

بما أن سبل النجاح في المعارك الجهادية تكمن في تنظيم قوة الجيش الذي هو قوام الدولة والذي بدأ تنظيمه منذ عهد يوسف بن تاشفين الذي قسمه إلى قسمين، قسم يمثل الجيش النظامي والقسم الثاني يمثل الجيش غير النظامي، فالأول هو الذي كان يظم فئة السودان[1]

أما ترتيب المعارك عند المرابطين يقوم على النظام الخماسي فيتقدم جيش الجند، المشاة ووحدات الفرسان الخفيفة وحملت القس والرماة، يرتبون الجناحين ويتكون القلب من وحدات المشاة الثقيلة أما قوات المؤخرة أو الاحتياطية يقودها أمير المسلمين إذا كان مصاحبا للجيش تتألف من قوى الحرس المختلفة، العبيد، السود، النصارى والمرتزقة[2]، وعرف السودانيون في معاركهم بالأندلس بحمل السيوف الهندية واستعمالهم ، عندما كانت تسير إلى المعركة أو أثناء الاشتباكات مع العدو، وتلك عادة عرف بها السودان في جميع أدوار تاريخهم[3] كما صاحبتهم الأبواق بهدف إخافة العدو، ومن دون شك أن هذه العادة أخذوها على جيرانهم السودان [4]

1_ابراهيم حركات :**المغرب عبر التاريخ، من عصر ماقبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين**، دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء، ص: 206.

2_ابن الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1،ص: 459؛ ينظر:محمد عبد الله عنان :المرجع السابق،ص: 418.

3_عبد الفتاح مقلد الغنيمي :الموسوعة العربية الميسرة،ص36، كما كنا قد ذكرنا عن السلاح المسمى الأفطس الذي ظنه اذفونش في معركة الزلاقة أنه منجل قال:" التحق بي غلاما أسود فضربني في الفخذ بمنجل"، وهو خنجر يستخدم عند الإصطدام المباشر، مجهول:الحلل الموشية ،ص :61؛ ابن عذارى :المصدر السابق،ج4،ص :117.

4_ ابن الخطيب : أعمال الأعلام،ج2، ص: 116

كما يؤكد ذلك المثل الذي أورده الزجالي في كتابه: " إذا رأيت الزنج أبشر بالبواق"[1] .

واستخدم المرابطون في حروبهم الفيلة وكانت من عوامل قوتهم وانتصاراتهم ولا نستبعد أن الفيلة أخذوها على جيرانهم زنوج افريقية [2]،كما لا يفوتنا ذكر الدرق اللمطية، وهو لباس حربي خفيف يستعمل كدروع في الحروب وينسب هذا السلاح إلى إحدى قبائل الملثمين التي كانت مابين مسوفة غربا وترغة شرقا وامتدادها جنوبا إلى نهر النيجر، وكان منهم قسم بمنطقة السوس عند مصب وادي نول هناك بنيت مدينتهم المشهورة نول اللمط التي ينتسب اليها وجاجاللمطي وفيها كانت تصنع الدرق الحربية[3].

عرف المرابطين هذا السلاح منذ بداية دولتهم ، فجعل عبد الله بن ياسين ميزانية خاصة لشراء الدرق اللمطية حتى أصبحت درق اللمط رمزا من رموز قوة المرابطين العسكرية حتى خافها خصومهم[4]، وقد إستعملها السودان خاصة ، ففي معركة الزلاقة دخل أربعة آلاف من السودان بدروقهماللمطية [5].

1_أحمد الزجالي القرطبي:**أمثال العوام في الأندلس**،وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، (د.ط)،(د.ت)، ص : 9 .

2_توفيق مزاري عبد الصمد:المرجع السابق، ص128، ويذكرلنا أحد المصادرأن"أمير المسلمين أمر حشمه فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها،فرمحت بفرسانها"؛ السلاوي:المصدر السابق،ج2،ص: 43.

3_البكري :المصدر السابق،ص374؛وصاحب كتاب البسط يذكر أن صحراء اللمط الواقعة بين بلاد المغرب وبلاد السودان يعيش بها حيوان اللمط التي يعمل من جلده الدرق اللمطية وهذا الحيوان صابر على العطش ويعيش في إقليم لا ماء ولا مرعى فيه، ابن سعيد المغربي:**كتاب بسط الأرض في الطول والعرض**، تحقيق خوان قرنيطخينيس،معهد مولاي حسن،تطوان، (د.ط)، 1958، ص:47.

4 _توفيق مزاري عبد الصمد: المرجع نفسه،ص: 131.

5_ مجهول: الحلل الموشية،ص:6.

استمر العنصر السوداني يتداول ذكره في حروب الدولة المرابطية حتى نهاية دولتهم، حيث أنّ بعض الأماكن الجغرافية حول العاصمة مراكش سميت بإسمهم " كدية العبيد "على ربوة بالقرب من وادي تانسيفت [1].

من حصيلة ما تقدم يتبن لنا الدور السوداني كان قويا وفعالا سواء في مشاركتهم الحروب التي لطالما كان لهم فيها الحسم في النهاية، وحتى الوسائل الحربية كانوا همم اكثر من يستعملها خاصة وان جل تللك الأسلحة كانت تجلب من بلادهم.

2 _دور رقيق النصارى في الجيش المرابطي:

ضم النصارى إلى الجيش المرابطي منذ عهد يوسف بن تاشفين حيث اشتراهم من الأندلس وجعلهم في حرسه الخاص، إلا أن استخدامهم في هذه الفترة كان محدودا بحيث لم يزد عددهم في أول الأمر عن مائتين وأربعين علجا زودهم يوسف بالخيل فأصبحوا فرسانا أشداء يثيرون الرهبة في قلوب الناس[2]، ولم تسجل المصادر التاريخية دور مهم لهم في هذه الفترة لكن الأمر اختلف في فترة حكم الأمير علي بن يوسف حيث ازداد عددهم في الجيش حتى أصبحوا يشكلون قسما رئيسيا منه إلى درجة أن بعض المؤرخين أنسبوا إلى علي بن يوسف أنه أول من أدخل النصارى في الجيش،يقول في هذا الصدد صاحب الحلل الموشية "كان الأمير علي بن يوسف أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم، ويعود سبب ذلك أن أمه

1_احمد مختار العبادي، المرجع السابق، 2000م، ص: 111.

2_ سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، نشأة المعارف الإسكندرية،ط1، 1995م، ج4،ص :260؛ والجدير بالإشارةإلىأن استعمال العنصر المسيحي في الجيش المرابطي لم يكن ابتداعا، وانما أثر من أثر النظم الإسلامية التي استعملها بنو أمية بالأندلس منذ العهد الأول.

كانت رومية تسمى فاض الحسن من الأندلس"[1]، ولم يشترط عليهم الدخول في الإسلام بل ترك لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية رغمأن يوسف بن تاشفين سبق وأن هدم كنيسة عظيمة بناها النصارى المعاهدون بغرناطة، إلا أن عليا أتاح لهم بالمغرب مباشرة طقوسهم الدينية بكل حرية حتى يستفاد في مقابل ذلك من خبرتهم الحربية [2].

كما كانوا يستفيدون من مرتبات وتعويضات، ويسمح لهم عن طريق مشاركتهم في الحروب الدخول إلى المجتمع الأندلسي بعد الفراغ من الحرب ما دفع بهذا العنصر إلى التجند في الجيش الإسلامي، وهو ما حدث للصقالبة الذين تم اقتنائهم عن طريق الأسر أوالشراء[3].

ونظرا لقوتهم وخبرتهم الحربية فقد كان أسرى الحروب من المسيحيين يضمون إلى الجيش والحرس الخاص كما اشترى عليا الكثيرين منهم من شواطئ قطالونية، وايطاليا، وجليقية، شاركوا في حراسة معاقل المغرب في حروب الدولة ضد الموحدين [4].

1_ مجهول: الحلل الموشية، ص: 61؛ وهذا ما يؤكده ابن عذارى في قوله: "...وعلي بن يوسف أول من استعمل الروم واركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغارمهم ويأخذون منهم نفقاتهم وأكثر مما يجب عليهم"، ابن عذارى، المصدر السابق،ج4، ص-ص: 100-103.

2_ابن الخطيب،الإحاطة، ج1 ، ص: 111.

3-ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص :119.

4_ _رينهرت دوزي:المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق و تقديم حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د.ط)، 1995م، ج3، ص: 164.

وغدى جناحا كبيرا من الجيش المرابطي يتألف من النصارى المرتزقة هذه الفرقة الأجنبية التي تسميها الرواية العربية بالجند الروم، وإشتركت مع المرابطين في معارك عديدة [1] .

وأظهرت بعض عناصر هذه الفرقة مقدرات قتالية فائقة في عديد المواجهات العسكرية مثل القائد القشتالي المدعو الروبرتير، الذي يعتبر من بين النصارى الذين هجروا بلادهم ليعملوا جند فيخدمة المسلمين في العصر المرابطي الذي دخل في خدمة علي بن يوسف وأخلص له و ماتوهو يحارب الموحدين[2].

لذلك سنتطرق إلى بعض المعارك الذي خاضها هذا القائد سواء المعارك التي انهزم فيها أو استطاع أن ينتصر للمرابطين في بعضها.

ففي سنة 533هـ/1138م تحرك عبد المؤمن بن علي من تينملل ونزل في بلد ملول من منانة في أرض حاحة، فزحف إليه الأمير تاشفين بن علي ولي عهد المرابطين من مراكش ومعه الروبرتير قائد فرقة الجند المرتزقة، ونزل بقواته في تاحكوك من حاحة ودارت معركة عنيفة بين الطرفين هزم فيها المرابطين، وفي عام 534هـ/1140م خرج الأمير تاشفين بجيشه الضخم من لمتونة وزناتة لقتال الموحدين وانضمت إليه فرقة الجند الروم بقيادة الربرتير، إنتهت هذه المعركة بهزيمة المرابطين[3]، وإنسحاب تاشفين جريحا حاملا معه الربرتير جريحا[4].

ولم يتوقف الأمر عن مشاركتهم في الحرب بجانب الأمراء المرابطين بل أصبحوا قيادا للجيش

1_ -محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص :418.

2-عصمت عبد اللطيف دندش:**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1988م، ص-ص: 32-33.

3_حمدي عبد المنعم حسن: المرجع السابق، ص: 119.

4- ابن عذارى:المصدر السابق، ج4، ص: 98.

المرابطي ودليلنا في ذلك ما ذهب إليه إبنعذارى على حد تعبيره أن في سنة 535هـ/1140م خرج الجيش المرابطي من مراكش بقيادة الروبرتيرواشتبك مع الموحدين بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن عليفإقتتل الطرفان قتالا شديدا إنتهى بهزيمة المرابطين وعودة الروبرتير[1] جريحا إلى مراكش، دارت تلك المعركة في مكان يسمى أمسميصي[2].

لكن في المقابل استطاع هذا القائد أن يحقق بعض الانتصارات للدولة المرابطية على خصومها من خلال بعض المعارك ضد الموحدين ففي إحدى هذه المعارك تحركت قوات المرابطين بقيادة الربرتير صوب تينلين وهاجم محلة تيغيغايين الموحدية، وأخذ من معه إلى مراكش وهذا ما أضطر عبد المؤمن بن علي أن يرفع الحصار عن حصن تينلينو والاتجاه نحو بلاد الأندلس[3].

كما أستطاع هذا القائد الفذ أن يحقق انتصاراً آخر على الموحدين عندما بعثه الأمير تاشفين بن علي في قوة إلى الفلاج لاستنقاذها وخرج إليه الموحدون بقيادة يحيى أغوال،نشبت بينهما معركة عنيفة انهزم فيها الموحدون وقتل قائدهم يحيى[4].

1- الربرتير كان من قواد برشلونة وأرغون ومن كبار رجالات دولته، وقع في أسر قائد الأسطول المرابطي بن ميمون فأتى به إلى مراكش حيث دخل في خدمة المرابطين واعتنق الإسلام ولزم خدمة الأميرعلي بن يوسف، فولاه قيادة الفرقة النصرانية وأخلص للمرابطين وقد قتل في إحدى المعارك ضد الموحدين؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 575.

2- هو موقع يقع في أرض كدميوة شمال تنملل، حمدي عبد المنعم حسن، المرجع السابق، ص119.

-لكن علي بن يوسف قام بإطلاق سراح سبايا تيغيغايين و أرسلهن آمنات مكرمات إلى تنملل بعد أن كان السبق لعبد المؤمن بن علي بإطلاق سراح تمباكنت ابنة يانتانبن عمر أحد وزراء علي بن يوسف والسبب في ذلك ترجي ابنة يانتان وتذكيره بشفاعة ابنها للمهدي. حمدي عبد المنعم حسن، المرجع نفسه، ص120.

4-نفسه، 122.

وفي آخر عهد علي بن يوسف امتنع عن إعطاء المزيد من إقطاعات الأجناد حتى رجع أكثرهم على حد تعبير ابن عذارى يجرون دوابهم، في حين اهتم بجيشه الخاص من الروم وجعل لهم أكثر إمتيازات من خلال النفقة عليهم وهذا أحد الأسباب التي أدت إلى ضعف المرابطين ولعلّ ضعف الدولة في أواخر عهدها جعلها تهتم بالجند المرتزقة من النصارى مما أتاح لهؤلاء تشكيل قوة لها وزنها وفاعيليتها في توجيه الأحداث [1].

ويذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى أهمية الدور العسكري الذي لعبه هؤلاء النصارى في تقوية الجيش المرابطي من خلال إدخالهم لطرق جديدة في القتال مستوحاة من فروسية العصور الوسطى ومن البيئة الإفرنجية ، المختلفة عن طرق القتال التي إعتادها المرابطين في البيئة الصحراوية[2].

وفي الوقت ذاته طوروا صناعة الأسلحة والذخائر فإختفى دور الجمل في المعارك وحل محلهم الخيول، كما تغيرت الأسلحة من القفا الطوال إلى الدرقة والدروع ونظرا لما تمتعوا به من مقدرة قتالية هائلة إستطاعوا إخافة القبائل الثائرة خير دليل على ذلك ما ذكرناه حول الدور الكبير الذي قام به الروبرتير [3]

1-ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص :10

2_ابراهيم حركات :المرجع السابق ،ج2،ص 207

3_ابراهيم القادري بوتشيش:المرجعالسابق،ص : 89.

بعد ضم المرابطون الأندلس إلى المغرب أصبحت حروبها مع الإفرنج كثيرة، لذلك كان لزاما عليها إدخال الجند المسيحي إلى جيشها لأنه هو الذي يستطيع محاربة بني جنسه بالطرق القتالية التي تعودوا عليها،رغم أن المصادر العربية لا تفصح عن الدور الذي لعبه النصارى في الجيش المرابطي بما يشفي الغليل إلا أننا حاولنا البحث في ثنايا الكتب وخلف السطور أحيانا، لكشف أهمية الدور الذي لعبته هذه الكتائب في المغرب، لكن جل ما نجده هو دورهم في حروب الدولة ضد الموحدين،ولم تذكر المصادر عن مشاركتهم في جهاد الدولة بالأندلس ربما تخوفا منها على أن يغدر بها هؤلاء بتواطئهم مع بني جلدتهم.

الفصـــــل الثـــــالث

الدور السياسي للرقيق

المبحث الأول: الر قيق في السلطة

المبحث الثاني: دور الرقيق في الإدارة

المبحث الثالث: الر قيق في معارضة السلطة

المبحث الأول:الرقيق في السلطة:

دور الإماء في تسيير الحكم:

لعبت المرأة في عصر المرابطين مكانة متميزة في الحياة العامة والخاصة ولم يكن هذا وليد قيام دولتهم بل يعود إلى عادات وتقاليد القبائل الصحراوية فالمرأة شاركت في الرأي وتمتعت بحرية الحركة في مشاركة زوجها في عمله خاصة المرأة في الطبقة الدنيا كانت تقوم بكثير من الأعمال بالمقابل عرفت الطبقة الخاصة بعدم قيامها بالأعمال لا داخل البيت ولا خارجه، كان عليها الاهتمام بزوجها ليزداد التعلق بها خاصة أمام مجتمع عرف تعدد الزوجات والمحظيات"[1].

تميزت المرأة بشأن مهم داخل المجتمع واشتهرت بتأثيرها الكبير في البيت والأسرة حتى أن نساء الأمراء والنبلاء ، القادة والعمال وغيرهم من الملثمين كنّ يتمتعن بسلطة ونفوذ كبيرين، ففي كل عصر كانت المرأة حاضرة في قوة الدولة أو ضعفها ولها دور خفي أو ظاهر في الوقوف بجانب الرجل سواء حاكما أو محكوما باتخاذ القرار مباشر أو غير مباشر خاصة إذا كانت تجمع بين الجمال والذكاء[2]والفضل، بدليل الحرة زينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين التي كان لها الدور في تدعيم وتأسيس الملك لإبنتاشفين فالمصادر وصفتها أنها امرأة حازمة، ذات رأي وعقل وجزالة ومعرفة بالأمور حتى يقال لها الساحرة[3].

1_ دندش:المرجع السابق،ص :315 .

2_عصمت عبد اللطيف دندش:**أضواء جديدة على المرابطين**، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1991، ص : 163.

3_ابن عذارى:المصدر السابق،ج4، ص: 18؛للمزيد عن دور زينب النفزاوية ينظر:إبن خلدون،العبر،ج6،ص: 37؛ابن ابي زرع:المصدر السابق،ص: 13؛عصمت عبد اللطيف دندش: نفسه،ص-ص: 163-169.

تطرقنا فيما سبق أن الجهاد ضد النصارى بالأندلس أدى إلى سبي الكثير من النصرانيات وجيء بعدد منهن إلى المغرب، واشتغلت البعض منهن في بيوت الأغنياء كما اتخذن جواري في قصورهم مارسن الغناء والرقص لكن كانت هناك محظيات عشن في بلاط الحكام اتخذن أمهات أولاد[1].

وخير مثال على ذلك زواج يوسف بن تاشفين بجارية إسمها قمر بعد وفاة زينب النفزاوية وولدت له ولي العهد "علي" الذي هو بدوره تزوج بجواري عدة هن أمهات أولاده نذكر منهن " قمر" أم الأمير "سير" كما أنه تزوج بجارية تدعى "ضوء الصباح" أم الأمير تاشفين[2]، والذي يثير التساؤل كيف استطاعت هؤلاء الجواري أو المحظيات أن تلعبن دور في تسيير دفة الحكم؟و هل كان هذا التسيير سلبيا عل الدولة المرابطية أم ايجابيا لها؟.

وبرجوعنا للمصادر وجدنا أن أكثر عهد أثر فيه الجواري هو عهد علي بن يوسف بن تاشفين، والجارية التي لعبت الدور السياسي هي الجارية "قمر"[3]، حيث جمعت هذه الجارية بين الجمال فاسمها دلالة على حسنها وبين الذكاء التي إستطاعت به كسب قلب الأمير علي بن يوسف وحظيت عنده وملكت له عليه أمره دون زوجاته الأخريات[4]

1_المقري:المصدر السابق،ج4، ص :217.

2 _ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص :157.

3 _فأم أمير المسلمين علي هي أيضا قمر أم ولد رومية واسمها قمر وتكنى أم الحسن إلاأنها لم يكن لها دور سياسي بارز في عهد يوسف بن تاشفينإلا من خلال أنه كتب ولاية العهد لابنها علي متجاوز أخوه تميم،انظر: نفس المصدر، ص : 157؛ ابن عذارى: المصدر السابق،ج4، ص: 48.

4 _ابن القطان :المصدر السابق،ص:245؛ عصمت دندش:اضواء جديدة على المرابطين، ص :174.

إستطاعت كما قلنا بذكائها وجمالها أن تسيطر على الأمير علي وإبعاد أي منافسة لها، حتى ولو أدى ذلك إلى القتل ودليل ذلك أن قمر لما أحست بأن صاحبتها "الثريا" حاولت إستمالة علي بن يوسف إليها و هو بدوره أبدى ميلا نحوها، قامت بدس لها السم البطئ الذي سبب لها إسهالا حادا وآلاما مبرحة إلى حد إنسلاخ الطبقة الداخلية لأمعائها أدّى إلى وفاتها بعد أكثر من أربعين يوما من المعاناة[1].

قام بتشخيص مرضها الطبيب أبو مروان بن زهر[2] بشرحه حالتها بالتفصيل " ليس هذا موضعا أذكر فيه علاج من سقي السم وإنما ساقني إليه اتصال القول واختلاط الأعراض كانت عند الشقي علي بن يوسف جارية تسمى الثريا، أصابها عقر في أمعائها الدقاق وتبع ذلك إسهال مفرط وعصار، وكلما رمت علاجها أعياني حتى أتت عليها نيف على أربعين يوما ....فإذا أمعائها قد انسلخت طبقتها الداخلية كلها،أعني موضع العقر (القبض)، وخرجت مع الإسهال الطبقة الواحدة أزيد من شبرين طولا، فأوقفني الصقلبي عليها فانعجبت من حدة خلط يبلغ إلى هذا التأثير العظيم فبعد أن تيقنت أن قمر حظيته الأعز عنده من صواحبها سمنتها فلم يكن فيها حيلة وماتت من علتها"[3].

1_ابن زهر:**التيسير في المداواة والتدبير**، تحقيق ميشيل الخوري، تقديم محي الدين صابر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر، دمشق،1983م، ص:250.

2-هو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر،لحق أبيه في صناعة الطب،كان جيد الاستقصار في الأدوية المركبة والمنفردة، خدم المرابطين ونال من جهتهم المكانة المرموقة والنعم والأموال الكثيرة، من أشهر كتبه كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" ألفه للقاضي أبي الوليد بن أحمد بن رشد و كتاب "الاغذية"، توفي عام 557هـ/1150م باشبيلية؛ انظر:عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومسهل الموحدين،ص- ص: 411 412؛ ابن عذارى، المصدر السابق،ج4،ص- ص:65- 66 .

3 _ابن زهر :نفس المصدر والصفحة

وبالرجوع إلى الدور السياسي الخطير التي قامت به هذه الجارية هو إقناع أمير المسلمين بتولية إبنها سير الحكم من بعده، ففي عام 522هـ/1128م إ ستدعى الأمير علي أهل الحل والعقد من الفقهاء و القضاة[1]،وجمع لأجل ذلك ابن عمه وأخويه الأمير تميم ، وأخاه الصغير إبراهيم المشهور بتاغيشت[2]فعلا تم عقد البيعة لسير إبن الجارية قمر في نفس التاريخ المذكو، ولكن هذا التصرف أدّى إلى زرع الشقاق بين الإخوة، فهذا الأمير أبي بكر لم يرضى عن بيعة أخوه سير وأعلن عن تذمره و ضيقه ورأى أنه الأحق بالملك من أخيه، خاصة وأن أمه حرة لمتونية[3]

وهو الولد البكر لعلي بن يوسف بعكس سير فهو ابن جارية نصرانية هذا يدل على أن الجارية قمر تغلبت على المرأة اللمتونية.

اختار عليا ابنه تاشفين ابن الجارية ضوء الصباح لولاية الأندلس، وعلى مايبدوا أنه وفق في هذه الولاية بسبب انتصاراته الكثيرة ضد النصارى هذا ما جعل الرعية تحبه وتملك نفوس الناس بالعدل وقلوب الجند بالإنصاف، وذاع صيته في العدوتين المغربية والأندلسية[4])

1_حسن علي حسن: المرجع السابق،ص: 360

2_ابن القطان: المصدر السابق،ص108؛عصمت دندش،اضواء جديدة على المزابطين،ص: 170.

3_ابن عذارى :المصدر السابق،ج4،ص: 48

4 _نفسه ص :80 في رواية لابن الخطيب عن مزاح تاشفين مع العبيد "قالوا مرّ يوما بمرج القرون ،من احواز قلعة يحصب فقال لزمّال من عبيده كان يمازحه هذا مرجك ،فقال الزمّال :ما هو إلا مرجك ومرج أبيك و أما أنا فمن أنا فضحك واعرض عنه؟".المصدر السابق،ج1،ص549. و عن انتصاراته في الأندلس، انظر :ابن عذارى:نفسه،ص: 80،82،85، ،88،90،96 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص_ص :122 _130

في وقت الذي كان فيه الأمير سير يميل للهو والفكاهة، وتوالي الهزائم عليه من قبل الموحدين[1]،هذا ما جعل الغيرة والحسد تدب في قلب سير وأمه قمر، خشيا أن يتحول شيوخ المرابطين عن بيعته فأوغرت قمر قلب زوجها علي خشية تغلب تاشفين على إبنها سير وإستقلاله بالأندلس[2].

نظرا للمكانة التي تمتعت بها قمر لدى الأمير علي بن يوسف صارت حتى تتدخل في عزل الولاة، وذلك ما فعلته في عزل تاشفين عن تولي إمارة الأندلس وفي ذلك يقول ابن عذارى"وذكروا أن والدة سير هي التي أغارت بأخيه تاشفين بأن لا يكبر على ابنها ويتملك في بلاد الأندلس فكانت سبب عزلته ووصوله_إلى مراكش_"[3]،وما فعله علي ما هو إلا إرضاء للجارية قمر وابنها سير باستدعاء تاشفن من الأندلس إلى مراكش في أواسط 531هـ/1136م حتى أنه أصبح من ضمن حاشية أخيه سير فيما يروي ابن الخطيب في ذلك"وصارت من جملة ما يتصرف بأمر أخيه، ويقف ببابه كأحد حجابه"[4]

1_ابن القطان :المصدر السابق ،ص_ص: 225_231

2_عصمت عبد اللطيف دندش:اضواء جديدة،ص:179

3_ابن عذارى :المصدر السابق،ص: 97

4_ابن الخطيب :المصدر السابق،ص 455

في سنة 533هـ/1138م توفي سير ابن الجارية قمر يروي لنا ابن عذارى المراكشي عن سبب وفاته "أن سير كان يركن إلى الراحة والبطالة ويصطحب أهل البطالة والمجون، وأنه اقتحم ليلا على تاشفين في داره فضربه حتى مات "[1]،أي أنه لم يتطرق إلى سبب ضربه حتى الموت وفي رواية لإبن القطان يذكر"أن علي بن يوسف كان قد فتن بولده سير وقدمه ولي عهده، ولم يكن أهلا لشيء فعكف على البطالة ودخل متسورا على أخيه عمر يريد زوجته فجرح جراحة عجلت بمنيته، فجزع عليه أبواه فكان مصرع سير على هذا النحو في آخر صفر 533هـ"[2].

ولم تكتفي هذه الجارية بعد وفاة ابنها سير بالتدخل في الحكم، بل تدخلت مرة أخرى في اختيار ولي العهد بحيث أشارت على الأمير علي بأن يولي ابنه الصغير إسحاق ولاية عهده، تردد علي في جعل إسحاق ولي العهد بسبب سنه الصغير فهو لم يتعدى الخامسة عشرة[3]، ومع هذا حاول إرضاء محظيته بأن قال لها "و لكني أجمع الناس في المسجد الجامع من أهل مراكش خاصة وعامة، وأخبرهم بذلك فإن صرفوا الخيار إليه فعلت ما أشرت إليه" ولما جمع النّاس في المسجد الجامع وعرض عليهم هذا الأمر قالوا بصوت واحد تاشفين " لذلك لم يستطع أن يخالفهم وعقدت البيعة لتاشفين ووصلت البيعات من كل الجهات في 534هـ/1139م[4].

1_ابن عذارى :المصدر السابق ، ج4،ص: 97؛ ابن الخطيب : المصدر السابق ،مج 1 ،ص : 455.

2_ابن القطان :المصدر السابق ،ص245 ،"و قضى الله و فاة سير على الصور القبيحة" ابن الخطيب : نفسه،ص 447.

3_عصمت عبد اللطيف دندش :أضواء جديدة على المرابطين ،ص: 180.

4_ابن عذارى : المصدر السابق،ج4،ص : 78

يتبن لنا من هذا الموقف أن لولا تدخل العلماء الّذين أوقفوا سلطة ونفوذ الجارية قمر لكانت هذه الأخيرة فعلت ما تريده من خلال تسييرها لشؤون الحكم.

لكن قمر لم تهدأ ولم توقف مخططها في إبعاد تاشفين عن الحكم وأعلنتها حربا ضده، حيث استغلت إنهزاماته المتتالية أمام الموحدين وجعلت والده_ علي بن يوسف_ يتشاءم منه (نظرا لسلطتها ونفوذها وللحقد الذي كنته لتاشفين ربما تكون لها يد في تلك الإنهزامات)، وقامت بتحريض علي ليولي ربيبها إسحاق على الحكم ويعزل تاشفين عن الحكم[1] .

كادت تنجح في مسعاها لولا أن أمر الأمير علي بن يوسف ابنه تاشفين بسرعة التوجه إلى فاس دون عدّة واستعداد لمواجهة جموع الموحدين في شتاء 533هـ/1141م، ومن شدّة البرد وتهاطل الشتاء التي لم تتوقف خمسة عشر يوما هلك معظم جيش تاشفين بردا وجوعا ونقطاع الطرق عنهم ممّا ألجأهم إلى حرق أوتاد أخبيتهم وخشب أبنيتهم، هذه الأخبار السيئة كان لها الأثر السلبي على الأمير علي بن يوسف فمرض ولزم الفراش، ما لبث أن مات بعد شهور قليلة في 537هـ/1142م والأمير تاشفين غائبا في مراكش[2]، أصبحت تلك الجارية تقف في كل من يعترض طموحاتها خاصة وأنها تخطط لوضع[3].

1_"فتشاؤم به وعزم على خلعه و صرف عهده إلى ولده الأصغر إسحاق ووجهه إلى عامله باشبيلية عمر أن يصل إليه ليجعله شيخ ابنه،إلا أن وافاه خبر أمضه وأقلقهولم يمهله،إلى أن يستتم تدبيره " ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج4،ص 99 ،ابن الخطيب :المصدر السابق،ج1،ص :447 .

2_ابن عذارى:نفسه،ص 101؛ عصمت دندش:المرجع السابق،ص181 .

3_ مما يزيد تأكيدا على نفوذ الجارية قمر فالأمير علي لمّا اشتدت عليه العلّة أمر بإخراج ابنه الأمير أبي بكر من مراكش و نفيه إلى الجزيرة الخضراء ليسجن فيها ،هذا لأنه احتج حول حرمانه من ولاية العهد و لعلّ هذا الابعاد كان من تدبيرها حتى يصفى لها الجو خصوصا أن تاشفين ولي العهد كان منشغلا بالحروب ضد الموحدين،عصمتدندش :المرجع نفسه،ص: 182.

مما يؤكد تورط قمر هو إخفائها نبأ وفاة الأمير علي بن يوسف مدة ثلاثة أشهر، قامت بإقناع بعض شيوخ المرابطين بتقديم إسحاق على مراكش نائبا على تاشفين هذا الأخير الذي كان في ساحة القتال يحارب الموحدين عند تلمسان ووهران في معارك ضارية، وفي هذا الصدد يروي ابن خلكان: " فسير علي بن يوسف ولده تاشفين لتكون في قبالة عبد المؤمن ومعه جيش فساروا في السهل وأقاموا على ذلك مدة فتوفي علي بن يوسف في أثنائها في التاريخ المذكور، فقدم أصحابه ولده اسحق بن علي وجعلوه نائب أخيه على مراكش وكان صبيا"، والذي جعلها تقوم بهذا الفعل هو أنها كانت متأكدة من صعوبة عودة تاشفين إلى مراكش بسبب تلك المعارك[1]، والعجيب في الأمر أن دولة المرابطين كانت تعيش فترة حرجة ،لكن تلك الجارية كانت منشغلة حول كيفية إبعاد تاشفين عن الحكم وهذا إن دل لا يدل إلا على أن تلك الجارية لم يهمها خطر الموحدين، ولربما كانت متورطة معهم.

علم تاشفين بما حدث في مراكش فاستدعى ابنه إبراهيم من قرطبة ووصل إليه في أواخر 538هـ/1144م فولاه عهده وأرسله إلى مراكش صحبة جماعة من لمتونة ووصل قبل بضعة أشهر من وفاة والده تاشفين، عندما علمت وفاته في 539هـ 1145م بويع لإبراهيم ولاية العهد غير أن إسحاق نقض البيعة ودعا لنفسه مدعما بالقادة الروم[2]، فوقع الخلاف بينهما واستمر إلى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم إلى العاصمة مراكش، حيث قبض الموحدين على جميع الأمراء المرابطين وقتلوهم عن آخرهم وسبوا نساءهم ووزعوهن بينهم[3].

1_ابن خلكان :وفيات الأعيان ،ج7، ص : 126.

2_ابن عذارى :المصدر السابق،ج4، ص : 105

3_عصمت دندش :أضواء جديدة على المرابطين، ص :183

وفي خضم تلك الأحداث ما مصير الجارية قمر التي استطاعت بأنانيتها أن تضعف الدولة بالتأثير على الأمير علي بن يوسف بن تاشفين باتخاذ القرار السليم والراجح أنها هربت إلى بلادها الأصلية وذلك لأنها قد خسرت الحكم بسبب دخول الموحدين.

المبحث الثاني: دور الرقيق في الإدارة

من أهم المناصب التي نجد الرقيق قد تسرب إليه هو تدبير الشؤون المالية للدولة المرابطية هذا المنصب الذي يعتبر ذو حساسية كبيرة فالمشتغلون بالشؤون المالية للدولة وهم الكتّاب تمثلت مهمتهم في تدوين النواحي المالية المختلفة بالإضافة إلى العمال الذين يقومون بجبايتها[1].

لم يكن احتلال الرقيق مناصب إدارية في المغرب والأندلس مقتصرا على فترة الدراسة ، بل إن الفترات السابقة شهدت تولي العبيد مشاركة رجال السلطة في تدبير شؤون الحكم لكننا لن ندخل في تفاصيلها حتى لا نخرج عن الفترة المدروسة،فبالنسبة للعهد المرابطي يعتبر علي بن يوسف هو أول من استعمل الروم في جباية الأموال في رواية لابن الخطيب "وهو أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم[2].

1_حسن علي حسن:المرجع السابق،ص: 186

2_ ابن الخطيب:الحلل الموشية:ص- ص:61- 62؛ ابن عذارى: المصدر السابق،ج4،ص:102؛ هذا ما يؤكده ابن الأثير أن "جباة الأموال في عهد علي كانوا من الفرنج والروم، الكامل في التاريخ، ج 8، ص: 296 .

3_ ربما كان هذا الأمر الذي قام به علي راجعا إلى أن والدته كانت أم ولد رومية لذلك تأثر بنشأته الأولى مع كثرة تردده على الأندلس في حملاته العسكرية يضاف إلى ذلك ما أثبته هؤلاء الجباة من دقة في جمع الأموال؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية،(د.ط)، لبنان، (د.ت)،ج 24، ص : 155.

لكن ابن عذارى يبين غير ذلك " أول من استعملهم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغامراتهم ويأخذون منهم في نفقاتهم"[1] هذا الكلام نفسره بتمسك المرابطين في الحصول على الضرائب بأي طريقة حتى ولو بالقوة لذلك استخدموهم تفاديا لرفق المسلمين بأهل ملتهم

قصد هؤلاء الجباة في جمعهم للمغارم المدن والقرى حيث كانوا يترددون على القبائل مرة في السنة لاستخلاص ما عليها من ضرائب[2]، وهذا حسب رواية النويري لما دخل ابن تومرت إلى تينملل قالوا له أهلها " أن لأمير المسلمين عدّة من المماليك الفرنج والروم وأنهم يصعدون إلى هذا الجبل في كل عام مرة يأخذون مالهم فيه من الأموال المقررة من جهة السلطان".

وبالنسبة لمعاملتهم للرعايا هل كانت سيئة أم حسنة؟ لكن من خلال رواية النويري أيضا نفهم منها أن معاملتهم كانت متعسفة ضد الرعايا و ظهور مفاسدهم في وضح النهار حيث كانوا أثناء قيامهم بمهمتهم يخرجون الرجال من بيوتهم ويغتصبون زوجاتهم والدليل في ذلك أن ابن تومرت لما قصد تينملل إبان ثورته نظر إلى أهل تينملل بتعجب حيث رأى أولادهم شقرا والعيون زرقاء ويغلب على آبائهم السمرة فقال لهم مالي أراكم سمر الألوان وأولادكم شقرا زرقا فقالوا :" إن لأمير المسلمين عدة من المماليك الفرنج والروم فيأخذون الأموال منهم.... وكانوا يسكنون البيوت ويخرجون أصحابها منها فقبّح الصبر على هذا وأزرى عليهم وعظم الأمر عندهم"[3].

1_ابن عذارى:نفس المصدر،ج4، ص : 102.

2_ بوتشيش:مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 90.

3_ ويبدو أن هؤلاء الجباة كانوا من الجند المسيحي وليس النصارى المسيحيين هذا لأن ابن تومرت طلب من أهل تينملل التمرد على الجباة وحرضهم على أن كل من عنده خيل يأخذها ويقتل أصحابها ويأخذ سلاحهم و كسوتهم؛ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص: 155.

إلى جانب تدخل الرقيق في الشؤون المالية نجد إشارة لابن عبدون عن وصولهم إلى وظيفة كبيرة وهي القضاء "يجب للقاضي أن لا يكون معه من الأعوان في مثل اشبيلية إلا عشرة يكون منهم أربعة سودان برابر لحقوق المرابطين وغيرهم من الملثمين والباقي أندلسية فهم أوثق وأخوف"[1].

كذلك قام الجند المسيحي بدور خطير في الجانب السياسي خاصة بعد أن أسندت لهم مهمة الحرس السلطاني لأول مرة في تاريخ المغرب الأقصى فزاد ذلك من فعالية الأجهزة الأمنية داخل جهاز الدولة والبلاط ووضعت حد لظاهرة العصبية القبلية كما أنها كانت القوة الضاربة لكل محاولة للمطالبة بالحكم و لعل هذا ما يفهم من قول ابن عذارى:" أن عليا هو أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب، وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغارمتهم"[2].

ونظرا لابتعادهم عن العصبية القبلية كان الأمراء المرابطين يستخدمونهم تلقائيا لتقديم البيعة لكل أمير مرابطي جديد[3].

إلى جانب تلك الوظائف الهامة عملوا كأعوان للمحتسب و يتمثل عملهم في البحث عن الغششة وأهل الخداع، وذلك بالوقوف على مكرهم وحيلهم إذ يدسّ المحتسب عليهم صبيا أو جارية يبتاع احدهما منهم فالغلمان والجواري هم بمثابة العيون للمحتسب، يطاردون المخالفين والمجرمين أينما كانوا ليقذفوا في قلوبهم الرعب والخوف فكان ذلك زاجرا ورادعا لهم عن الغش والحيلة الصنف بعد تهذيبهم وتعليمهم

1_ابن عبدون:المصدر السابق، ص : 9.

2-ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص: 102.

3-بوتشيش: مباحث، ص89.

الذي يتوفر فيهم العفة والمروءة والشهامة من أداء مهمتهم على أكمل وجه كل ذلك تحت إشراف المحتسب[1].

وهكذا نستنتج أن حضور الرقيق في الإدارة في العهد المرابطي كان جليا هذا ما يكشف عنه احتلالهم مناصب حساسة في الدولة .

المبحث الثالث : الرقيق في معارضة السلطة

لم تشر المصادر التاريخية المؤرخة لفترة الدراسة إلى أي معلومات عن معارضة الرقيق للسلطة، فمن مميزات عصر المرابطين أنه لم يسجل أي انتفاضات أو ثورات للرقيق ضد الحكم، وذلك رغم أن الظروف كانت جد مواتية وملائمة لقيام العبيد بالثورة والانقلاب على الحكم خاصة في أواخر العصر المرابطي إلا أنهم لم يقوموا بأي انتفاضة ضد الحكم بقوا مساندين لها ترى إلى ماذا يعود ذلك؟

أرجع أحد الباحثين[2] ذلك إلى أن معاملة العبيد في العصر المرابطي كانت كريمة على حد تعبيره، نتيجة المعاملة الطيبة من طرف أسيادهم، وأن وضعهم لم يكن يستدعي القيام بثورات.

لكن على عكس هذا القول فإن المصادر التاريخية المعاصرة للفترة أوردت لنا إشارات تؤكد أن الرقيق كانوا سببا في انتشار الفوضى واضطراب الأمن في البلاد، إذ أنه بالرغم من العناية التي وجهها أمراء المرابطين لرقيقهم وخاصة رقيق النصارى الذين اشتد نفوذهم في الدولة منذ عهد علي بن يوسف بن تاشفين، وخاصة في الجيش وفي شؤون الجبايات، لما كان يحبوهم به من ثقة وحماية أساءوا معاملة

1_تشينة حسين :**الحسبة والمحتسب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط مدينة غرناطة**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،جامعة الجزائر،2011.

2_عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص-ص : 120-121.

المسلمين واشتطوا في تحصيل المغارم والفروض، وغلبت الفوضى على شؤون الدولة المالية كما غلبت على غيرها، ما جعل أهل البلاد يبغضونهم ويكنون لهم مشاعر البغض والكراهية[1].

كذلك لم يبدي حكام المرابطين بالأندلس حزما كافيا في قمع طغيان الجند والعبيد، وأن هؤلاء كانوا يسيئون إلى الناس ويستغلون لباس الملثمين ويتلثمون ويموهون على الشعب، ويرتكبون الشرور والآثام مما أثار السخط [2]، وهو ما سجله لنا وزير وكاتب أندلسي كبير معاصر هو ابن عبدون المتوفى سنة 520هـ/1126م في رسالة وضعها عن القضاء والحسبة، حيث قال عند ذكره المرابطين:" يجب ألا يتلثم إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي، فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على الناس ويهيبونهم ويأتون أبوابا من الفجور كثيرة بسبب اللثام"[3]، ومن هذا الكلام نستدل أن الحشم والعبيد التابعين للحكام والسادة المرابطين كانوا يتعدون على الناس ويعبثون بالأمن تحت ستار اللثام الوهمي.

ويبدوا أن هذه العناصر كانت تثير قلاقل في بعض المناطق بالأندلس لذا أنكر الناس على جماعة السودان بعض صفاتهم الذميمة[4] لدرجة أن ابن عبدون طلب من المعدين في المراسي " ألا يجوزوا أسود ... ممن يعرف أن له تعديا على أموال الناس"[5] ومنهم من تسبب حتى في اندلاع بعض الثورات كما حدث في مدينة قرطبة سنة 514هـ/1120م[6]

1_عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، ص 421.

2_عصمت عبد اللطيف دندش: **نفسه**، عصر الطوائف الثاني، ص-ص : 269-270.

3-ابن عبدون:المصدر السابق، ص: 118

4_عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص : 45.

5-السقطى:رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص: 56

6_البكري: المرجع السابق، ص: 184 ربما كان هذا هو السبب في ان بعض القضاةالأندلس لم يخفوا مشاعرهم =

ورغم اختلاف المؤرخين[1] حول سبب حدوث هذه الثورة، إلا أن ابن الأثير المعاصر لفترة الدراسة يقدم لنا تفاصيل أوفى فيقول: " لما أقبل عيد الأضحى خرج أهل قرطبة للاحتفال بتلك المناسبة الدينية أحد عبيد أبى بكر بن يحي بن رواده والي المدينة فرصة خروج الرجال و النساء إلى ظاهر المدينة للنزهة، فمد يده إلى امرأة وأمسكها فاستغاثت فأغاثها الناس فوقعت الفتنة بين الحامية المرابطية بقرطبة وبين الأهالي، ونشب القتال بينهما حتى حل الظلام فتفرق كل فريق وهو يتربص بالآخر، وتهدئة لغضب الأهالي طلب الفقهاء من الأمير أبى بكر بن يحي بن رواده والي المدينة بالقصاص من العبد المتسبب في هذه الفتنة، وذلك بقتله ولكنه أنكر عليهم ذلك وغضب وأبدى رغبته في تأديب أهل قرطبة الذين خاضوا الفتنة فأمر بإخراج السلاح، لكن أهل قرطبة يتقدمهم الفقهاء بادروا بمقاتلته وأوقعوا به وبقواته الهزيمة فتحصن بقصره

= و تعصبهم ضد العنصر الأسود في شبه الجزيرة فقد روي عن قاضي قرطبة " أحمد بن حمدين" (ت 847هـ/1443م) أنه حضر مجلس حكمه أسود يخاصم زوجتا له بيضاء فأوحى إليه الموقف بقوله الساخر :

رأيت غرابا على سوسنه*** فكان بشيرا بسوء السنة*** فيا مزود الساج زد عزة*** ويا مكحل العاج زد مهونة، ابن سعيد، **رايات المبرزين وغايات المميزين**، تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، طبعة القاهرة، 1973م، ص: 68.

1_فلخص لنا صاحب الحلل الموشية الثورة في أن " أهل قرطبة كان قد قدم عليها الأمير أبى يحي بن رواده فحدث بينه و أهلها ما أوجب قيامهم عليه، وحدثت بين أهلها وبين من كان فيها من المرابطين فتنة كبيرة ونهبوا ديارهم و قصورهم، (مؤلف مجهول، ص : 63؛ ويقدم لنا ابن عذارى رواية أخرى يقول فيها :" أنه في سنة 514هـ نفذ أمر أمير المسلمين إلى البلاد الأندلسية بإحياء المجانيق و الآلات الحربية فلما كمل منه المختص بغرناطة خرج لمشاهدة التجربة لها و الرمي بها جد أب بن سير اللمتوني صاحب الأعنة فتزاحم هناك الجم الغفير فرام الفسحة و أشار برسيخ كان في يده فأصاب صبيا في مقتله فقضى لوقته وانفض اللفيف، وتهرجت البلدة فاسترضى ولي الدم بدفع الدية فسكنت الثورة، وأمهل الله القاتل ثم أخذه و لما عمل ما أنشئ منها بقرطبة، وقد جاء عيد النحر فخرج ثانية عامل البلدة لمشاهدة التجربة وقد أقبل السواد الأعظم الذي لا يطاق، بمجمع حضور العيد وحضور كل زامر وناعق من كل حدب وشاهق، فكثر التدافع و التزاحم و دهم الحشم فكثر بينهم التزاحم وأقبل لفيف الربض المغربي فالتقى بأسهم على القصر ورام صاحبه المدافعة بحشمه و خدمه فغلبوا، واقتحم القصر عليه وانتهب جميع ما فيه، وخرج وهو فار بنفسه، وركب القاضي ابو الوليد بن رشد في أعلام الفقهاء فردع العامة وقمع السفلة"، البيان، ج4؛ ينظر عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص : 82.

فحاصروه به، وتسلق بعضهم إليه إلا أنه تمكن من الفرار، فأشعلوا النار في القصر بعد أن نهبوا كل تحفه ومحتوياته كما أحرقوا دور المرابطين، ونهبوا أموالهم وأخرجوهم على أقبح صورة"[1]

ولما وصل الخبر إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أكبر ذلك واستعظمه وجمع عساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم وجاء إلى قرطبة في سنة 515هـ وحصرها فقاتله أهلها قتال من يذب عن نفسه وماله وحريمه، فلما رأى شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا في الصلح فأجاب على ذلك أن يغرم أهل قرطبة للمرابطين ما نهبوه من أموالهم فاستقرت القاعدة على وعاد من قتالهم[2].

والواقع أن ثورة قرطبة لم تكن مجرد حدث عادي أو حركة شعبية وإنما كانت أول ثورة مسلحة قام بها أهل الأندلس ضد المرابطين[3]، وقد أحس الأمير علي بن يوسف مدى خطورة هذه الثورة لدرجة جعلته يوجه إنذار لأهل قرطبة[4].

ويذكر لنا صاحب الحلل الموشية كيف ساهم النصارى المرتزقة في إسقاط دولة المرابطين عندما تواطئوا مع عبد المومن ليدخل مدينة مراكش فيقول: " لما حاصر عبد المومن مدينة مراكش سنة 647هـ/1146م [5]

1_ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 197

2_النويري، نهاية الإرب، ج23، ص : 151.

3-حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص: 145

4_ابن القطان، نظم الجمان، ص: 23

5_ مؤلف مجهول، ص-ص : 110- 115؛ أنظر عنان، دولة الإسلام بالأندلس، العصر الثالث، القسم الأول، ص 83.

هذا مايؤكده إبن الخطيب كذلك أنه : " لما كان يوم السبت الثامن عشر لشوال منذ إحدى وأربعين وخمسمائة على ما نقله ابن اليسع أنه قال حدثني من أثق به أنه لما أراد الله فتحها – أي مراكش- دخل جيش الروم الذين كانوا بداخلها يد عبد المومن فاستأمنوه فأمنهم واتفقوا معه على أن يدخلوه من الباب المعروف بباب أغمات[1].

وخلاصة القول أن الرقيق في عصر المرابطين كانوا سندا للسلطة ولم يقوموا بأي ثورة ضد الحكم المرابطي ورغم توفر الظروف الملائمة لهم للإنقلاب على الدولة والاستيلاء على الحكم خاصة مع أواخر الدولة المرابطية إلا أنهم لم يفعلوا ذلك، لكن هذا لا يعني أنهم بقوا مخلصين لها طوال فترة حكمها إذ رأينا كيف أنهم كانوا سببا في اضطراب الأمن بالبلاد وانتشار الفساد، كما تسبب جند النصارى فى سقوط الدولة على يد الموحدين.

1_ابن الخطيب:الحلل الموشية في الأخبار المراكشية،ص ،ص: 103،104 ؛النويري:المصدرالسابق،ج 23، ص :163

خـــــاتمـــة

خاتمة :

يتبين من دراستنا أن المجتمع المرابطي كان مجتمعا استرقاقيا، إذ كان العبيد جزءا لا يتجزأ من هذا المجتمع و أحد مكوناته الأساسية ، وتعددت أجناس الرقيق المتواجدة في الدولة المرابطية من رقيق أسود نتيجة حروبها مع بلاد السودان، ورقيق أبيض نتيجة جهادها في بلاد الأندلس.

تكاثر الرقيق في بلاد المغرب الأقصى أيام المرابطين وكانت الحرب أحد الروافد التي سمحت للمسلمين بالحصول على أعداد هامة منهم.

فكان السبي المكون من نساء العدو وأطفاله الذين يقعون في أسر المسلمين في حرب مشروعة يخمسون فيذهب سهم منهم إلى بيت المال، وتوزع أربع أخماسهم الباقية على المقاتلين فيرقون.

وشكل الأسرى رافدا للرق موازيا للسبي ببلاد المغرب والأندلس تحول أغلبهم إلى أرقاء وكانوا قبل أسرهم ينتمون إلى فئات اجتماعية مختلفة، منهم وجوه القوم وأعيان البلاد ورجال السلطة، كما كان الشراء رافدا آخر للحصول على الرق مما أدى إلى ازدهار هذه التجارة فاحتلت حيزا من بعض الأسواق العامة بالمدن والمحطات التجارية وتخصصت أسواق أخرى ببيعهم كسوق الرقيق، بأدغشت و آغمات.

واختلفت أثمان الرقيق باختلاف جنسهم وأعمارهم وجمالهم وقدرتهم على العمل، وكثرتهم وقلتهم كما تنوعت أجناسهم ببلاد المغرب بتنوع البلاد التي يجلبون منها، فمنهم تم جلبه من بلاد السودان ومنهم من جلب من بلاد الصقالبة، وقد التفت المحتسبون إلى هذه البضاعة فحاولوا مراقبتها قصد ردع الغش فيها، وتفنن النخاسون في عرض سلعتهم على أحسن وجه، مما أدى إلى اختراع الكثير من طرق التجميل لإغراء الزبائن وظهرت بعض المؤلفات توضح حيل النخاسين وتبصر المبتاعين بذلك.

وقد لعب العبيد أدوار معتبرة في مجالات مختلفة في الدولة المرابطية فمن الناحية العسكرية بدأت مساهمتهم في هذا المجال منذ عهد يوسف بن تاشفين مؤسس الدولة، حيث ألف الرقيق على اختلاف أجناسهم و أصولهم من روم، سودان وصقالبة من أبرز العناصر ضمن الجيش النظامي المرابطي وقد امتاز هؤلاء العبيد بصبرهم الشديد على تحمل القتال و الثبات فيه وبأسلوب يختلف عنه عند أهل المغرب الإسلامي عموما، وبفضل هذه الخاصية كانوا محل رضاء الأمراء.

ولم يكن دورهم في المجال السياسي أقل منه في المجال العسكري حيث جدت السلطة السياسية فيهم دعما كبيرا لها فأسندت إليهم مهمات جليلة في البلاط ، فاضطلعوا بمهمة الحرس السلطاني ما زاد في فعالية الأجهزة الأمنية داخل جهاز الدولة والبلاط، ووضع حد للعصبية القبلية ، كما أنهم كانوا القوة الضاربة لكل محاولة للمطالبة بالحكم، و حتى الجواري كان لهن نصيب في الحياة السياسية وخاصة النسوة الروميات اللواتي كان لهن دخل في الحياة في تحديد السياسة العامة للدولة بعد أن أصبحن يتدخلن في اختيار أولياء العهد، وأسندت مهمة جباية الأموال للجند النصارى.

إن الحروب التي خاضها المرابطون ضد خصومهم سواء في المغرب أو الأندلس تركت لديهم انطباعا حسنا للوثوق أكثر في قدرات العبيد فسعوا إلى استغلال ولائهم ليكونوا سدا لمواجهة التحديات التي تحول دون تثبت سلطانهم أو تنفيذ سياستهم، فراحت الدولة تستميل هؤلاء العبيد إلى جانبها عن طريق الإغداق عليهم بالأموال و الأعطيات الجزيلة بعد كل عملية عسكرية يخوضونها رفعا لمعنوياتهم وكسبا لولائهم، ومنهم من أظهر مقدرات قتالية فائقة في العديد من المواجهات العسكرية مثل الأسود الذي طعن الأذفونش في معركة الزلاقة والروبرتير الذي مات وهو يدافع عن الدولة المرابطية ضد خصومها الموحدين.

و كون الصقالبة دعما قويا لقوة المرابطين العسكرية، حيث كانوا يحرسون الأمير في ساحات القتال وأظهر بعضهم إخلاصا نادرا و حنكة عسكرية كبيرة، بل منهم من أصبح قائدا للجيش المرابطي مثل الروبرتير، كما سمح انخراطهم في الجيش المرابطي إلى إدخال طرق جديدة في القتال وتنوع في الأسلحة فكانوا دعما قويا للجيش.

لكنهم لم يبقوا مخلصين للدولة طوال فترة تواجدها فقد ساهم بعضهم في سقوط الدولة عندما فتحوا لعبد المومن أحد أبواب مراكش.

وفي أواخر الدولة المرابطية ازداد نفوذ العبيد إلا أنهم لم يقوموا بحركات عصيان أو تمرد على السلطة سواء في بلاد المغرب أو الأندلس رغم الظروف الملائمة لذلك، لكن هذا لا يعني أنهم كانوا مخلصين لها فقد كانوا سببا في انتشار الفوضى والفساد واظطراب الأمن بالبلاد بل أنهم تسببوا في اندلاع الثورات كما رأينا سابقا.

وخلاصة القول أن الطابع العسكري للدولة المرابطية جعلها تبحث عن كل الوسائل لإنجاح مشروعاتها الحربية والسياسية فأشركت الرقيق في الحرس السلطاني والجيش كما احتل مناصب مرموقة في الدولة هذه المكانة

سمحت للصقالبة من لعب أدوار طلائعية في الجيش و الإدارة وأخلص بعضهم للدولة المرابطية إخلاصا تاما مثل الروبرتير بينما تمكنت الخيانة من نفوس قسم منهم أدت بهم إلى فتح أحد أبواب مراكش أمام الإجتياح الموحدي.

الملاحق

الملحق رقم:1

نص يتحدث حول تعرض الأذفونش للطعن من عبد أسود في معركة الزلاقة[1]:

<<...ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الران، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها، وأجحمت عن أقرانها، وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه، فأهوى ليضربه بالسيف، فلصق به الأسود، وقبض على عنانه وانتضى خنجراً كان متمنطقاً به، فأثبته في فخذه، فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بداد سرجه، زكان وقت الزوال، وهبت ريح النصر، فأنزل الله سكينته على المسلمين...>>.

1-المقري التلمساني: المصدر السابق، ج4، ص368.

ملحق رقم (02) :

شهادة الأسرى لبعضهم البعض بدار الحرب[1]:

<و سئل ابن رشد عن شهادة الأسرى بعضهم لبعض ونصه. جوابك – وفقك الله –في رجل مأسور جمعت له فدية في وصية وسلف.. فجاء وزعم أنه افتدى ببعضها، وشهد له أسارى كانوا معه بدار الحرب بذلك هل تقبل شهادتهم على التوسم هنا للضرورة أم لا؟ وإن قبلت هل يقع الحصاص بين الوصية والسلف فيما بقي منها؟ جاوبني في ذلك مأجورا.

فأجاب : تصفحت السؤال. وإجازة شهادة المأسور مع الأسرى في هذا على التوسم جائزة لأن الضرورة فيها ظاهرة أظهر منها في السفر حيث أجازها ابن حبيب على علمك مراعاة لقول من يرى الشاهد محمولا على العدالة حتى تعلم جرحته بظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور>> .

1- ابن رشد: **فتاوى ابن رشد**، ج1، ص : 1645.

قـــائمة المصـــادر

و المراجـــع

1-قائمة المصادر و المراجع:

1-القرآن الكريم

1-المصادر:

1-الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسيني: **صفة المغرب و أرض السودان ومصر من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، نشره ديغويه ودوزي، ليدن، (د.ط)، 1894م.

2-أبو اسحاق إبراهيم: **ديوان ابن خفاجة**، تحرير مصطفى سلامة، جمعية المعارف المصرية، 1961م.

3-ابن الأثير محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: **الكامل في التارخ**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1979م.

4- ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**، راجعها درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 2005م.

5-البكري: **المغرب في ذكر افريقية والمغرب**، دار الكتاب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

6- ابن بسام الأندلسي: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ط)، 1997م.

8-الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي: **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و المغرب**، أخرجه مجموعة من العلماء باشرف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الرباط، (د.ط)، 1981م.

9-الزجالي أحمد القرطبي: **أمثال العوام في الأندلس**، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، (د.ط)، (د.ت).

10-ابن زهر: **التيسير في المداواة والتدبير**، تحقيق ميشيل الخوري، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر، دمشق، 1983.

11-ابن الزيات التادلي: **التشوف لرجال التصوف**، تحقيق أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.ط)، 1984م.

12-ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، دار المنصور للطباعة، (د.ط)، 1972م.

13-ابن حوقل أبي القاسم: **صورة الأرض**، منشورات مكتبة دار الحياة، لبنان، (د.ط)، 1979م.

14-ابن حزم الأندلسي علي: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت).

15-الحموي ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1979م.

16-الحميري عبد الله بن عبد المنعم: **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، 1975م.

17-الحضرمي: **الإشارة في تدبير الإمارة**، تحقيق دمامي النشار، دار الثقافة، (د.ط)، 1981م.

18-مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول، جامعة الإسكنجرية، مصر، (د.ط)، (د.ت).

19-مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر اسماعيل، دار الرشاد الحديث، المغرب، ط1، 1973م.

20-مؤلف مجهول: **كتاب الطبيخ في المغرب و الأندلس**، نشره أمبروزيو أويش ميرندا، صحيفة محمد المصري للدراسات، (د.ط)، 1962م.

21-ابن منضور محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، (د.ت).

22-المقري التلمساني أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ((د.ط)، 1988م.

23_____ **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق ابراهيم الأبياري وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1939م.

24-المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

25_____ **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1997م.

26-المراكشي ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، مدينة ليدن، (د.ط)، 1881م.

27-الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

28-النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

29-ابن سعيد المغربي: **بسط الأرض في الطول و العرض**، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي حسن، تطوان، (د.ط)، 1958م.

30_____**زيات المبرزين وغايات المميزين**، تحقيق النعمان عبد المقال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، 1993م.

31-السقطي: **آداب الحسبة**، نشره ليفي بروفنسال وجون كولان، باريس، (د.ط)، 1931م.

32-عبد الله بن زيري: **التبيان**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

33-ابن عبدون: **رسالة في الحسبة و القضاء**، نشرها ليفي بروفنسال ضمن **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، (د.ط)، 1955م.

34- عياض بن موسى بن عاض السبقي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

35-ابن عيشون الشراط: **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية اداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1997م.

36-ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989م.

37-ابن قزمان: **ديوان ابن قزمان**، تحقيق كورنيطي، المعهد الإسباني العربي الثقافي، مدريد، (د.ط)، 1931م.

38-ابن القطان: **نظم الجمان لترتيب ما سلط من الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990م.

39-ابن رشد: **فتاوى ابن رشد**، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987م.

40_____**المقدمات والممهدات لبيان ما اقتضته رسم المدونة من الأحكام**، مطبعة السعادة، مصر دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

41-التيجاني أبو محمد عبد الله: **رحلة التيجاني**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتابة، ليبيا، (د.ط)، 1981م.

42-ابن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي: **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997م.

43-ابن الخطيب لسان الدين: **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان، ط2، 1956م.

44_____**الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تصحيح البشير الفرني، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ط1، (د.ت).

45_____**الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م.

46_____**تاريخ المغرب في الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د.ط)، 1944م.

47-ابن خلدون عبد الرحمن: **العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة سهيل زكال، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، (د.ط)، 2000م. بن خفاجة

48_____**المقدمة**، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2000م.

49-ابن خلكان شمس الدن أحمد بن محمد: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

50-ابن خرداذبة: **المسالك والماك**، تحقيق دينويه، مطبعة ليدن، ط2، 1927م.

51-ابن غازي: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، المطبعة الأمنية، الرباط، (د.ط)، (د.ت).

52- الغبريني أبو العباس: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط1، (د.ت).

53-الغرناطي أبو حامد: **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1989م.

2-المراجع:

أ/المراجع العربية:

1- أحمد موسى عز الدين: **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي**، دار الشروق، ط1، 1983م.

2-أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهر، ط2، 1996،ج2، ص255-256.

3-بوتشيش ابراهيم القادري: **مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1997م.

4_____: **الإسلام السري في المغرب العربي**، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1955م.

5-بنمليح عبد الإله: **الرق في المغرب و الأندلس**، مؤسسة الإنارة العربي، بيروت، (د.ط)، 2003م.

6-بنمنصور عبد الوهاب: **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

7-دويدار حسن يوسف: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، مطبعة الحسن الإسلامية، مصر، ط2، 1199م.

8-دندش عصمت عبد اللطيف: **أضواء جديدة على المرابطين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

9_____**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

10-زغلول سعد عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، دار المعارف، الإسكندرية، ط1، 1995م.

11-حسين حمدي عبد المنعم حسن: التاريخ السياسي و **الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1997م.

12-حسن محمد نبيلة: **تاريخ المغرب و الأندلس**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 2004م.

13-حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس في عصر المرابطين و الموحدين**، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

14-حركات ابراهيم: **المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ الى نهاية الموحدين**، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د.ط)، (د.ت).

15-طه جمال: **الحياة الإجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر اللمرابطين و الموحدين)**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004م.

16_____**مدينة فاس عصري المرابطين و الموحدين** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د.ط)، 2001م.

17-كواتي مسعود: **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح الى سقوط الموحدين**، دار هومة، الجزائر،(د.ط)، 2000م.

18-لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 1951م.

19-مؤنس حسين: **الثغر الأندلسي في عصر المرابطين و الموحدين**، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، 1992م.

20-موسى عز الدين أحمد: **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري**، دار الشروق، ط1، 1983م.

21-محمود حسن أحمد: **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

22-الميلي مبارك: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، ((د.ت).

23-نيقولا زياد: **الحسبة والمحتسب**، المكتبة الكثوليكية، بيروت، (د.ط)، 1963.

24-نصراتة سعدون عباس: **دولة المرابطين في المغرب و الأندلس في عهد يوسف بن تاشفين**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

25-العبادي أحمد مختار: **الصقالبى في اسبانيا**، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، (د.ط)، 1953م.

26_____**صورة من حياة العرب و الجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000م.

27-عنان محمد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، القاهرة، 1997م.

28-الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: **تاريخ المغرب و الأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، مصر، (د.ط)، 1984م.

29-أبو رميلة هشام: **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، دار الفرقان، الأردن،(د.ط)، (د.ت).

30-الترمانيني عبد السلام: **الرق ماضيه وحاضره**، الكويت، (د.ط)، 1979م.

31-خالد حسين محمود: **الرقيق و الحياة الإجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى**، مصر العربية، ط1، 2009م.

32-ذنون عبد الواحد: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2000م.

ب/المراجع الأجنبية المعربة:

1-جوليان شارل أندري: **تاريخ افريقيا الشمالية، تونس-الجزائر-المغرب الأقصى**، تعريب محمد عمر مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1986م.

2-دوزي رينهرت، المسلمون في الأندلس، تحقيق حسن حبشي، الهيئة العلمية المصرية لكتاب، 1955م.

3-مارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمد عبد الصمد هيكل، مطبعة الإستبصار، الإسكندرية، 1991م.

3-الموسوعات:

1-زيبب نجيب: **الموسوعة العامة للمغرب و الأندلس**، دار الأمير، بيروت، 1995م.

2-زهر الدين صالح: **موسوعة معارك العرب**، تقديم العماد مصطفى طلاس و اللواء الركن رياض تقي الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط1، 2000م.

3-لغنيمي عبد الفتاح مقلد: **الموسوعة العربية الميسرة**، بيروت، ط2، 2001م.

4_____موسوعة المغرب العربي مكتبة مذبولي، ط1، 1994م.

5-مصطفى طلاس ورياض تقي الدين: **موسوعة معارك العرب**، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط1، 2004م.

4-المعاجم:

1-عمارة محمد: **قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993م.

5-الدوريات:

1-بن ابراهيم عبد الكريم: **الإعلام الإسلامي بمفهومه العصري المتطور**، مجلة الدعوة، العدد 73، 435هـ.

6-الأطروحات:

1-أوشريف نذير ودواجي نور الدين: **الحياة الإجتماعية في المغرب في عهد المرابطين(434-541هـ/1059-1147م)**، مذكرة لنيل شهادة التعليم الإبتدائي، اشراف عبد الله حورية، قسم التاريخ و الجغرافيا، بوزريعة، 2007-2008م.

2-البياتي بان علي محمد: **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرنين (3-5هـ/9-11م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة بغداد، 2004م.

3-عبد الصمد توفيق مزاري: **التنظيمات العسكرية المغربية في عهد المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 1999-2000.

4- شرقي نوارة: **الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي عهد الموحدين**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2007م.

5-تشينة حسين: **الحسبة والمحتسب في الأندلس من الفتح الإسلامي الى سقوط مدينة غرناطة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2011م.

6-بن الذيب عيسى: **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين والموحدين**، دراسة اجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراه، إشراف أحمد شريفي، قسم التاريخ، الجزائر، (د.ت).

الفـــهـــــــــــارس

فهرس الأعلام

-حرف الألف

إسحاق : ص 107،108،

ابن الأثير :ص 115

أمية بن عبدالعزيز :ص 66

أشباخ : ص 88

ألفونسو : ص 88

الأمير تاشفين : ص98

-حرف الباء

ابن بكر بن يحي : ص 115

-حرف الواو

الونشريسي : ص 71،

-حرف الزاي

زينب النفزاوية : ص 102

الزجالي : ص 95

-حرف الحاء

ابن حوقل : ص 63، 71

-حرف الطاء

طه جمال : ص66

-حرف الياء

يوسف بن تاشفين :ص 63، 82، 85

88،97،96،91،89،

ابن ياسين :ص 79،81،94

-حرف الميم

المعتمد بن عباد : ص 91

-حرف السين

سير : ص 72، 107

-حرف العين

ابن عذارى: ص 62،107،111

عبد المؤمن 109

ابن عبدون :ص 112،114

عبد الله بن ياسين:ص 79، 96

عبد الاله بن مليح : ص 85

عبد الله بن بلكين : ص 86

علي بن يوسف : ص62،73،82،87،89،96،97،98

99،166،113،109،108،105،104،

الأمير علي :ص 105

- حرف القاف

الجارية قمر: ص72، 103، 110

ابن قطان : ص 107

ابن قرمان : ص 72

-حرف الراء

ابن رشد : ص 73

-حرف التاء

تاشفين : ص 108

ابن تومرت : ص 111

-حرف الخاء

ابن الخطيب : ص 110، 117

ابن خلدون :ص 79

حرف الألف فـــهـــــرسالأماكن

أودغست 47، 51، 57

الاندلس 16، 17، 19، 23، 24، 25، 27، 31، 38، 41، 42، 43، 44، 45، 48، 49، 50، 52، 58، 60، 61، 62، 63، 69،70 ،103، 105، 106، 109، 114.

اسبانيا 38، 41، 42.

افريقية 66**حرف الدال**

أقاليم النخيل 16

اقليش42

أروبا 48، 50**حرف الهاء**

الأرياف 19

إشبيلية 34، 112.

أغمات 47، 59 .

حرف الباء

البوادي 19

البحر الأدرياني 23**حرف الزاي**

البحر الأدرياتيكي 60

البحر المتوسط زناتة 85، 116.

بحر قزوين 23

بلغاريا العظمى 23، 61،

حرف الجيم

جدالة 16

جنوب الصحراء 46

جناوة 46

دكالة 19

درعة 47

هنتالة 19

هسكورة 19

هرغة 19

حرف الواو

...

زويلة 57

زغاوة341

حرف الحاءالمغرب الأقصى 14، 16، 18، 19، 20، 26،

.....31، 42، 44، 46، 47، 49، 50.

حرف الطاء

.....

حرف الياء

.....

حرف الكاف

كناوة 56، 59.

حرف اللام

لمتونة 16

حرف الميم

مالقة 44

مسوفة 80

معاقل 45

المشرق الإسلامي 49، 50.

مضيق جبل طارق 48

المغرب 80، 81، 82، 97، 103، 111.

المغرب الأوسط 47، 50

المغرب الإسلامي 44، 46، 50

حرف النون

.....

حرف السين

السودان50،47،32

سجلماسة2،47

فهرس المحتويات

قائمة المختصرات.....

مقدمة.....أ

الفصـــــــل التمهيدي:طبقات المجتمع المرابطي.....11-28

المبحـــث الأول: عناصر المجتمع المرابطي.....11

المبحـــث الثاني: فئات المجتمع المرابطي.....22

الفصـــــــل الأول: الرق في المجتمع المرابطي.....30-63

المبحـــث الأول: مصادر الرقيق.....30

المبحـــث الثاني: أنواع الرقيق.....46

المبحـــث الثالث: الوضعية الإجتماعية للرقيق.....54

الفصـــــــل الثـــاني: الدور العسكري للرقيق.....65-87

المبحـــث الأول: الدواعي العسكرية للاسترقاق.....65

المبحـــث الثاني: طبيعة حضور الرقيق.....70

المبحـــث الثالث: مشاركة الرقيق في الحروب.....76

الفصـــــــل الثالث: الدور السياسي للرقيق.....89-104

المبحـــث الأول : الرقيق في السلطة.....89

المبحث الثاني : دور الرقيق في الإدارة.....97

المبحث الثالث : الرقيق في معارضة السلطة.....100

خاتمة.....105

الملاحق.....109

قائمة المصادر والمراجع.....112

الفهارس.....124